م/909.953

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945
قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار
التخصص: التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان :

منسى موسى ودوره في تطور إمبراطورية مالي الإسلامية (1312-1337م)

إعداد الطالب:
حكيم عواودة

إشراف الأستاذ :
الحواس غربي

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
النوي بن مبروك	استاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة08ماي 1945م قالمة
الحواس غربي	استاذ مساعد أ	مشرفا ومقررا	جامعة08ماي 1945م قالمة
عبد الكريم قرين	استاذ مساعد أ	عضوا مناقشا	جامعة08ماي 1945م قالمة

السنة الجامعية: 1435/1434هـ - 2015/2014 م

25/180

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم

بما كنتم تعملون"

الآية: 105 من سورة التوبة

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أتوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف "**غربي الحواس**" على توجيهاته العلمية التي سرت عليها في بحثي هذا،والذي شجعنا كثيرا على مثل هذه الأعمال النادرة خصوصا في تاريخ إفريقيا.

إلى كل أساتذة التخصص على المجهودات والنصائح المقدمة إلى كل عمال جامعة:"**08 ماي 1945**"

شكرا للجميع: "**حكيم عواودة**"

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى:.....

إلى أمي العزيزة"**تمرة**"وإلى والدي الحنون"**عبد الوهاب**"حفظهما الله تعالى، اللذان لم يبخلا يوما علي في الحياة

إلى كل إخوتي وأخواتي وأزواجهم وأبنائهم.

إلى كل من آزرني وشجعني على هذا البحث.

إلى شهداء الوطن العزيز الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل أن نعيش في أمن وآمان.

إلى كل أصدقائي الذين أعرفهم ويعرفوني.

إلى سكان بلدتي بـــ"**بوحشانة**".

إلى زملائي في التخصص.

إلى طلبة العلم الصادقين.

إلى كل من يقرأ هذا البحث.

أهدي هذا العمل: "**حكيم عواودة**"

المقدمة

مقدمة:

مخطئ من يعتقد أن القارة الإفريقية لا تاريخ لها أو أن أرضها وشعبها كانا مجرد ميدان للاستزاف والاستغلال من طرف الإنسان الأبيض. نعم هذا الفرد الأوروبي الذي جاء تحت ذريعة الكشوف الجغرافية الواهية وإنقاذ الرجل الأسود من براثن الجهل والتوحش وإلحاقه بالركب الحضاري والذي مازال بعض الناس في وقتنا الحاضر يدينون بهذه الفكرة ويدندنون حولها متناسين الماضي المشرق الذي عاشته إفريقيا في العصور الوسطى خصوصا ما يعرف بالسودان الغربي، هذا المكان من العالم الذي أراد الله سبحانه وتعالى له أن يتنور بضياء الإسلام منذ عهوده الأولى أي مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

ومع مطلع القرن الثالث عشر ظهرت مملكة من أهم الممالك في السودان الغربي والتي تعتبر تاريخيا هي الإمبراطورية الثانية من سلسلة الممالك والإمبراطوريات الكبرى في إفريقيا السوداء ألا وهي:"إمبراطورية مالي"والتي كان تأسيسها إسلاميا محضا خلاف إمبراطورية غانة التي كانت وثنية، وقد عرفت إمبراطورية مالي بحكامها المشهورين وعلمائها المتمكنين الذين حملوا لواء الإسلام جنوب الصحراء الكبرى وأدخلوا الكثير من الناس الذين لا يحصيهم إلا الله تعالى لهذا الدين الحنيف بفضل فتوحاتهم وتوسعاتهم ودعواتهم، ولعل أبرز حكام مالي هو:"**سندياتاكايتا**"المؤسس الأول لها وهو المعروف عند المؤرخين بـــ:"**ماري جاطة**"وصولا لمرحلة الازدهار والقوة في عهد: :"**منسى موسى**"الذي لم يدع مجالا من مجالات الحياة إلا وصبغه بالصبغة الإسلامية.

انطلاقا من هذا وقع اهتمامي على الدراسات الإفريقية وهذا لإبراز الحقائق المخفية أو لنقل المغفول عنها، ومن ثم البحث في هذه المذكرة عن إشكالية إمبراطورية مالي الإسلامية وازدهارها فيعهد: :"**منسى موسى**"(**1312م-1337م**) وطرح التطور الكبير الذي عرفه الإسلام في مالي إبان عهد هذا الملك.

ويعود اختياري لهذا الموضوع لعدة اعتبارات يمكن إيضاحها فيما يلي:

أولا:أن هذه الفترة تعتبر من المراحل الحساسة في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الوسيط.

ثانيا:أن الإسلام لعب دورا محوريا وجوهريا في تطور مملكة مالي والقضاء على العادات والتقاليد التي كانت تسودها.

ثالثا:شخصية "منسى موسى" التاريخية والأعمال التي قام بها في سبيل النهوض بمملكته.

رابعا:رحلته الحجية التي بقيت راسخة في أذهان المؤرخين سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين.

خامسا: اختلاف وجهات النظر بين مؤيد ومعارض لفخامة هذه الرحلة وثرائها ومحاولة مني تحليل آراء المؤرخين والخروج برأي موضوعي حول هذا الإنجاز.

لهذه الأسباب وغيرها وقع اختياري لهذا الموضوع وذلك لكشف اللثام على مدى تطور إمبراطورية مالي فيعهد: :"**منسى موسى**"(**1312م–1337م**)، وكذا تشجيعا مني لجميع طلاب التخصص للبحث والدراسة في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء وذلك بهدف إعطاء إضافات علمية وتاريخية جديدة.

أما هذا العمل فيعتبر محاولة مني لتقديم البحث بطريقة علمية صحيحة من خلال الاعتماد على المنهج التاريخي و كذا التحليلي الاستنباطي فالأول يمكننا من الوقوف عند أهم الأحداث التاريخيه وفق تسلسل زمني صحيح،الثاني يساعدنا على تحليل هذه الأحداث وكشف بعض الألغاز والخروج باستنتاجات موضوعية سليمة

وقد حاولت التقيد بالموضوع زمانا ومكانا قدر الإمكان والخروج باستنتاجات وفق أدلة وإثباتات، وإرجاع المعطيات إلى مصادرها وتمحيصها،وإبداء بعض الملاحظات حولها ما أمكن.

فإشكالية بحثي تملي علي الإجابة على بعض التساؤلات حول هذا الموضوع منها:

* ما هي البوادر الأولى لانتشار الإسلام في غرب السودان، وكيف ساهمت الطرق والأسواق التجارية في ظهور الإمارات المسلمة في غرب إفريقيا؟

* كيف حمل المرابطون لواء الجهاد في السودان الغربي(الأسباب والدوافع)؟ وما هي نتائج ذلك؟

* متى تأسست مملكة مالي الإسلامية؟ وكيف تمكن ملوكها من بسط نفوذهم على هذه المنطقة؟

* من هو الملك"منسى موسى"نسبه، صفاته، أخلاقه، توليه الحكم وآراء المؤرخين حوله؟

* كيف ساهم هذا الإمبراطور في النهوض بأمر دولته سياسيا وحضاريا؟

* متى كان انطلاق رحلة حجه، وما هي الظروف التي عاشها"منسى موسى"في هذه الرحلة؟

* هل تمكن المؤرخون من الإحاطة بهاته الرحلة ليحكموا على"منسى موسى"بأنه ملك إفريقيا و ملك أعظم إمبراطورية للسودان في العصور الوسطى؟

هذه التساؤلات وأكثر دفعتني لدراسة هذا الموضوع دراسة منهجية موضوعية وأكاديمية، والذي اخترته تحت عنوان:"**منسى موسى ودوره في تطور إمبراطورية مالي الإسلامية(1312م-1337م)**" والذي جعلته تحت خطة قمت بتقسيمها إلى:مقدمة، تمهيد، ثلاث فصول، خاتمة والبعض من الملاحق.

***فالتمهيد**: كان الانطلاقة لعرض مفهوم السودان والسودان الغربي من خلال كلام اللغويين والمؤرخين، ثم التطرق إلى أصل تسمية شعوب مالي وما هي اشتقاقات هذه الكلمة، كذلك تحديد وضبط الإطار الجغرافي الذي شغلته مملكة مالي.

"الفصل الأول:تضمن:"**الإسلام ودوره في تأسيس مملكة مالي**".

عالجت فيه وصول الإسلام للسودان الغربي وطرق انتشاره مرورا بالحركة المرابطية التي حملت لواء الجهاد في البلدان السودانية، كما تحدثت عن الظروف التي تأسست فيها مملكة مالي الإسلامية وكيف عمل مؤسسها"ماري جاطة"على تثبيت الأركان الإسلامية إبان فترة حكمه وكذا مساهمته في توطيد قواعد ملكه.

***الفصل الثاني**:تحت عنوان:"**إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد منسى موسى**".

تتعرف مع هذا الفصل على أهم ملوك وأباطرة مملكة مالي الذين خلفوا"ماري جاطة" وسياسة حكمهم وقصة الملك الذي سبق"منسى موسى"في الحكم وإبحاره عبر المحيط الأطلسي لاكتشاف ما يخفيه البحر وراءه وهذا يعتبر لغزا تاريخيا كبيرا خصوصا مع الأبحاث التي كشفت عن وجود عناصر مالية متدانغية في

القارة الأمريكية وما يزال يحتاج عناية وتدقيقا، كما تطرقنا أيضا إلى التعريف بالسلطان"منسى موسى"من خلال نسبه، صفاته وتوليه الحكم ووصف المصادر لهذا الملك بالورع والزهد.

دون أن نتناسى فتوحاته وسيطرته على كل الأقاليم المجاورة لمالي كسنغاي، صوصو، غانة و تكرور، حتى أخلط بعض المؤرخين بوصفه ملك تكرور وإنما هو واحد من أقاليمه فقط، كذلك فالعناية الفائقة لهذا الملك بشؤون دولته سياسيا، عسكريا، اقتصاديا وثقافيا مكنته من أن يصنع إمبراطورية عظيمة قل مثيلها في العصور الوسطى كما يشير إليها بوفيل[1].

*الفصل الثالث:خصصناه:**"لرحلته الحجية وتأثيراتها على العالم الإسلامي عام 1324م"**.

أبرزنا خلال هذه المرحلة عظمة هذه الرحلة والأرقام الخيالية التي تداولتها بعض المصادر حول العدد والعدة التي رافقته في رحلته وكمية الذهب التي شغلت العام والخاص في هاته الفترة وأهمية الأحداث في مصر والتقاؤه بالناصر محمد بن قلاوون في القاهرة، وكيف أظهر"منسى موسى"أنه عازف عن الدنيا رغم ما يمتلكه من ذهب، ثم أدائه لفرضه الحجي وعودته منه وما اكتسبه هذا الملك من خبرات دينية وسياسية باحتكاكه بالمشرق الإسلامي، وكيف ساهمت هذه الرحلة في بلوغ شهرة إمبراطورية مالي ليس العالم الإسلامي فحسب وإنما بلغ صداها أوروبا الغربية أيضا في ذلك الوقت، ثم استعرضت المراسلات التي بعث بها سلطان المماليك وسلطان بني مرين إلى سلطان مالي

بعد هذا كله ذكرنا سنة وفاته وما خلفه"منسى موسى"من منتوج حضاري وقد أنهيت بحثي ككل"بخلاصة"عامة حاولت من خلالها أن ألم بجميع ما تناوله موضوعي هذا باستعراض بعض الاستنتاجات التي وصلت إليها.

(1)-باسيل دافدسون، **إفريقيا القديمة تكتشف من جديد**، الدار القومية للطباعة والنشر: مصر، 2001، ص: 48.

وفي الأخير أدرجت مجموعة من الخرائط التوضيحية حول بعض الطرق التجارية في السودان الغربي، وكذا خريطة توضح إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد"منسى موسى"، أعقبتها بقائمة من المصادر والمراجع ثم الفهارس، وقد أنجزت هذه الدراسة معتمدا على مجموعة من المصادر أهمها:

أولا:المصادر السودانية:

* كتاب تاريخ السودان لمؤلفه: عبد الرحمن السعدي والذي يعتبر من أهم المصادر السودانية التي وصلت إلينا باعتباره يذكر فترة حكم"منسى موسى"والبعض من صفاته الحميدة.

* كتاب التراجم: فتح الشكور لمعرفة أعيان علماء التكرور، لصاحبه: محمد البرتلي اللواتي، الذي يعتبر من المراجع المهمة في تراجم علماء المالكية بالسودان الغربي.

ثانيا:المصادر المغربية:

* رحلة ابن بطوطة:"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"لمؤلفه:أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، والذي زار إمبراطورية مالي الإسلامية بعد وفاة"منسى موسى" وذلك في ولاية أخيه "منسا سليمان"وقد زودنا بمعلومات قيمة جدا نتيجة مكوثه هناك مدة من الزمن.

* كتاب: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، والذي ألفه: أبو العباس أحمد الناصري السلاوي، والذي يذكر لنا مراسلات المريني أبي الحسن مع"منسى موسى"وأخيه "منسا سليمان"في جزئه الثالث.

ثالثا:المصادر الأخرى:

كانت أكثرها مصادر عربية مشرقية إذا استثنينا تاريخ "ابن خلدون" نذكر منها:

تاريخ ابن خلدون:"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، للعلامة:"عبد الرحمان بن خلدون"(**722 هـ -888 هـ /1332م-1406م**)والذي وجدنا فيه رواياته العديدة عن السودان الغربي، ومملكة مالي الإسلامية وسلاطينها وذلك في أجزائه: الخامس، السادس والسابع.

كتاب:"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"لمؤلفه: شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري، الذي خصص الجزء الرابع من كتابه هذا للتكلم عن بلاد الحبشة والسودان الغربي، ولقد أفادنا كثيرا باعتباره من أقرب المصادر لموضوع بحثنا، حيث أنه ذكر أقاليم هذه المملكة وأساليب عيشها ومدى تطورها في عهد"منسى موسى"كما أنه حضر أثناء وصول"منسى موسى"إلى القاهرة وسمع من الأعيان والملوك الذين قابلوا سلطان ملي فكان ذا وصف دقيق للأحداث.

"البداية والنهاية"، للحافظ ابن كثير، في جزئه الثامن عشر، أرخ لوصول"منسى موسى"إلى القاهرة والأحداث التي حصلت حينها.

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، لمؤلفه:تقي الدين أحمد بن علي المقريزي،حيث أوضح أهم ملوك مالي الذين جاؤوا إلى الحج، وأورد رحلة"منسى موسى" وتكلم عنها ولديه كتاب آخر هو:"السلوك لمعرفة دول الملوك"في جزئه الثالث، أشار فيه انطلاق رحلة ملك مالي من القاهرة إلى الحجاز.

"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، المجلد:"الحافظ ابن حجر العسقلاني، ذكر لنا صفات"منسى موسى"وما تميز به من الورع والتقوى وبين الحوادث التي وقعت معه في القاهرة.

وهناك مصادر كثيرة أخرى تجدها خلال تطلعك على المذكرة، وستعرف مدى أهميتها خصوصا رحلة "منسى موسى" ووصوله إلى القاهرة.

رابعا:المراجع:

هناك بعض المراجع التي لا يمكن الاستغناء عنها خصوصا عند دراسة تاريخ ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، أهمها كتاب التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن15م إلى بداية القرن18منلأستاذ:"الهادي المبروك الدالي"، والذي زودنا بمعلومات قيمة جدا خصوصا أصل تسمية مالي والماندينغ، وأسلوبه التحليلي الدقيق للأحداث أيضا أفادني:"كتاب الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية

مالي:1230م-1430م"، لمؤلفه:"أحمد شكري" الذي لم يدع حدثا في هذه المملكة إلا وتكلم عنه بطريقة تحليلية نقدية رائعة وقد استعمل المنهج المقارن وهو من أصعب المناهج التاريخية وهذا الكتاب لا يمكن الاستغناء عنه لدراسة هذه الحقبة، أيضا هناك كتاب:"المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة" "لمحمد ناضل علي باري وسعيد إبراهيم كريرية" اللذان قدما لنا مادة علمية ساعدتنا كثيرا، وهناك مراجع لبعض المستشرقين ترجمت للعربية منها:"الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا" "لماذهو بانيكار"كذلك كتاب:"تاريخ غرب إفريقيا""فيج.جي.دي"وغيرها كثير، أما المراجع الأجنبية فوجدها قليلة نوعا ما نذكر منها

-Ch-Monteil, "Les Empires de Mali"

-Ivan SertimaIvan ,They came before Columbus

كتاب"إيفانسرتيما"هذا مهم جدا حيث أنه وضع له عنوان:"الذين قدموا قبل كولومبس"يؤكد فيه أن هناك من قدم إلى القارة الأمريكية قبل هذا الأخير يعني كولومبس و يفسر وجود بعض العناصر المندانغية المالية في هذه القارة. ودون أن نخرج من دائرة بحثنا فقد اعتمدت أيضا على موسوعة تاريخ إفريقيا العام، والذي جاء في المجلد الرابع إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، مالي والتوسع الثاني للماندينغ، لنيابي الذي يبرز أهم المظاهر الحضارية لدى شعوب مالي.

أما المجلات فقد اعتمدت على دورية كان التاريخية من خلال:"الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي وآثرها على الحياة الثقافية"للأستاذ:"مسعودي خالدي"وكذا في:"مرجعية المصادر العربية في أخبار بلاد السودان(تاريخ"منسى موسى"نموذجا)" ل"محمد دوكوري"،وكذا مقال في جريدة الشرق

الأوسط كان عبارة عن تقييم لثروة"منسى موسى".

ومهما يكن من أمر فإن إنجازنا لهذا العمل تطلب منا الكثير من الجد والصبر وذلك للصعوبة الكبيرة التي يمتاز بها هذا الموضوع، وكذا قلة المادة العلمية والإبهام الواضح الذي تركته مصادرنا والذي يبقى من

خلاله هذا البحث مجرد محاولة منا لتسليط الضوء على فترة من فترات الازدهار الذي عرفه الإسلام في العصور الوسطى لا نقول المشرق الإسلامي أو المغرب الإسلامي وإنما السودان الغربي جنوب الصحراء.

وفي الأخير أتوجه بالشكر لكل من شجعني وأعانني على إنجاز عملي هذا، في مقدمتهم الأستاذ المشرف:"غربي الخواس"الذي لم يبخل بإعطائي التوجيهات اللازمة والدأب والحرص منه على التشجيع على مثل هذه الأبحاث العلمية وأتفضل بالثناء على كل أساتذة التخصص.

والحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وأصحابه أجمعين. والله من وراء القصد.

تمهيد

تمهيد:

يعتبر العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تقطن جنوبي الصحراء الكبرى، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحيانا على كل السود الإفريقيين، كما يتضح من الرسالة التي كتبها "الجاحظ" في كتاب: "فخر السودان على البيضان"، وذكر "ابن عبد الحكم" السودان عندما أشار إلى السوس جنوب المغرب بقوله: "وغزا عبيد الله الفهري السوس وأرض السودان"، وحدد ابن حوقل السودان بقوله: "وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف، غير أن له حد ينتهي إلى البحر المحيط، وبينه وبين أرض المغرب برية، وحدا به برية بينه وبين أرض مصر، على ظهر الواحات".

غير أن "ابن خلدون" أجاد في تسميته بقوله: "والسودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو، وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة"[1]

أما عن نسبهم فهؤلاء السودان هم من نسل "حام" بن "نوح" – عليه السلام – باتفاق النسابين والمؤرخين[2]

1-مالي أصل التسمية والنشأة:

يختلف اسم مالي ويتنوع فعلى سبيل المثال مالي من المالل، والمِلل، والمَلل و المليت وكل هذه الأسماء تمثل صورا لأسماء أجنبية تخص البربر والفولاني[3].

وهناك تفسير آخر لكلمة"ماندنج" فتدل "ما" على معنى الأم، وكلمة "دنج" على معنى الطفل أو الابن والكلمة مجتمعة بمعنى "ابن الأم"، وهذا يدل على أهمية النسب إلى الأم وهو أمر مألوف عند الماندنجو. وعلى العموم فإن كلمة "ماندي" ما هي إلا اصطلاح لغوي أكثر منه جنسي يقصد به مجموعة القبائل الناطقة بلغة

---

(1)- الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص:17،18.

(2)- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الإستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى**، 7ج، تح:جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1955، ج5، ص: 99.

(3)-نيج.حي.دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1982، ص:53.

الماند، وقد امتدح عدد من المؤرخين القدامى والمحدثين قبائل المندنجو، وأعتبروهم من أرقى أجناس إفريقيا، وأكثرهم ذكاء وفطنة وأجدرهم بالاحترام والتقدير، وهم الذين حملوا لواء الإسلام في تلك المناطق[1]

أما عن النشأة فقد كانت مالي قرية صغيرة تسمى: "كانجابا" كما ذكر "ديلافوس" لكنه عدل عن آرائهو انتهى في عام1924 إلى أنه كانت هناك عاصمتان: العاصمة القديمة وهي: "ديالابا" عند ملتقي نهر سكر في "النيجر"، و "كانجابا" وتجد هذه وجهة النظر سندا لها في تاريخ الفتاش، فسلي هي "مالي" و"برن" هي "برنو"، و"جارب" هي التي قصد بها "ديالابا"[2] و"ينع" هي "نياني"[3].

فسلطنة "مالي" أسسها قبائل الماندنجو، والتي تمكنت من أن تسيطر لعدة قرون وتدعي هذه القبائل أنهم "سودان" في الأصل[4]وتسمى أيضا بالمملكة المالينكية أو الماندينجية وتبقى أصولها مجهولة ولا تدخل في سياق التاريخ، إلا في أوائل القرن الثالث عشر أيام "سوندياتا"[5].

وبالرجوع إلى المصادر العربية "فمالي" أو "ملل" تناولها عدد من المؤرخين منهم "البكري" يطلق عليها "ملل"، وابن بطوطة "مالي"، أما "السعدي" فيعرفها بـــ:"ملي" والحسن الوزان يسميها "مالي"، و "القلقشندى"بقوله:"مالي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور"[6]

فكلمة "مالي" حسب الموسوعة الأمريكية تعني حيث يقطن الحاكم أو الملك، أما "مصطفى مؤمن" فيذكر أن كلمة "مالي" تعني بلغة أهل البلاد البرتق أو فرس النهر، وهو رمز القوة والبأس برا وبحرا، كما

(1)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:49.

(2)-سادهوبانيكار، **الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا**، تر: فؤاد بيع، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1998، ص:87، 88.

(3)-نياني: العاصمة التي اتخذها سوندياتا عاصمة فيما بعد.

(4)- جلال يحي، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص:34.

(5)- دينيس بولين، **الحضارات الإفريقية**، تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1974، ص: 50.

(6)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:50.

اشتهرت "مالي" باسم بلاد التُكرور "بضم التاء" وهذا ما ذكره "القلقشندى"، والصواب أن تكرور هي إحدى المدن أو الممالك أو الأقاليم التي خضعت لسيادة "مالي"[1]

وقد أطلقت الدراسات التاريخية على القبائل التي أسست إمبراطورية "مالي" اسم "الماندينغ" وهذا المصطلح حديث أخذه المؤرخون عن المختصين في الدراسات اللسنية المتعلقة بإفريقيا، و لم تعين المصادر العربية اسم خاص لتلك القبائل، واقتصرت على نعتهم "بأهل مالي" أو "أهل التكرور" وتشير إلى اسم قبيل سوداني كبير هو "المُلم" وتارة "نمنم" وأخرى "دمدم" وعليه فالاسم الأشهر المتداول هو "المُلم".

وما يجدر الانتباه إليه هو أن المصادر العربية قلما اهتمت بالأسماء القبائل السودانية ومواقعها، وكانت تجمعها تحت اسم واحد هو "أهل السودان" أو "أهل التكرور"[2].

* وهناك تسمية "المادنجو" التي تحمل عدة مضامين متقاربة، والمتعارف عليها منها: "المانكا" أي "الماندنكا"، والماندي، أو مانتج، أو مانتجا، أو ماندج وهي كلها متقاربة في حروفها، وكلمة "ماندى" تتكون في لهجة قبائل "السوننك" أحد فروع "الماندنج" وكلمة "ماندي" عند "السوننك" تعني مركز إقامة السيد أو الحاكم ويعني آخر العاصمة[3]

2- الإطار الجغرافي:

– قبل الحديث عن انتشار الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا يجدر بنا أن نحدد بعض المفاهيم الجغرافية التي تتعرض لها الدراسة، ومن هذه المفاهيم اصطلاح غرب إفريقيا والسودان الغربي، حيث تمتد هذه المنطقة من بحيرة "تشاد" في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب، وتقع عند خط عرض 9°و17° شمال خط الاستواء، ومساحة تبلغ 2,4 مليون متر مربع، وهي جزء من السودان الغربي والأوسط، والتي عرفها الكتاب

(1)– محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ-2007م، ص: 76.

(2)– أحمد شكري، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1420هـ-1999، ص: 165، 166.

(3)–الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:48.

العرب ورحالتهم:"على أنها البلاد التي يحدها بحر الظلمات"المحيط الأطلنطي" من الغرب وحدود بلاد الحبشة الغربية من الشرق[1] وقد شهد هذا الجزء من القارة الذي يمتد من ساحل المحيط الأطلسي غربا إلى شواطئ النيل الأبيض شرقا، وبين حدود الصحراء الكبرى شمالا وإقليم الغابات المدارية جنوبا.

شهد حضارات وممالك عرفنا عنها الكثير من سجلات الرحالة المدونة باللغة العربية الذين زاروا المنطقة وعاشوا أحداثها لفترة طويلة زادت عن الألف سنة وكلهم كانوا عربا اعتمد الأوربيون على مؤلفاتهم وأشادوا بصحتها[2].

إذن فهذا الإقليم بين الصحراء الكبرى شمالا وحوض الكونغو والمحيط الأطلسي جنوبا وهو عبارة عن سهل ساحلي يتدرج في الارتفاع نحو الداخل حيث توجد مرتفعات "فوتاجالون" و"الكاميرون" والتي ينبع منها الأنهار التي تجري في هذا الإقليم وأهمها:"النيجر" والسنغال" و"غامبيا" وأهمها جميعا وهو "نهر النيجر" الذي يجري في بلاد السودان الغربي متجها نحو الشمال حتى يصل إلى حدود الصحراء عند "تمبكتو"[3]

ثم ينحني إنحناء كبير ويتجه إلى الجنوب الشرقي و يسير في واد ضيق به الكثير من المنحدرات والشلالات ويتصل به من جهة الشرق نهر "بنوى" وهو من أهم أنهاره[4]، ونستطيع أن نصل إلى تحديد قريب إلى الواقع ذلك أن المنطقة تطل غربا وجنوبا على المحيط الأطلسي وتحدها الصحراء الكبرى شمالا ومن الشرق بحيرة تشاد، وباختصار تشمل المنطقة ما يعرف اليوم "بحوض السنغال" وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط[5] ويبلغ اتساعها حوالي ثلاثة آلاف ميل مربع[6].

---

(1)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر**، مكتبة البحوث و الدراسات الإفريقية، القاهرة، 1998، ص:05.

(2)- أحمد نجم الدين فليحة، **أفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص:37.

(3)- محمد محي الدين رزق، **إفريقيا وحوض النيل**، مطبعة عطايا باب الخلق، مصر، ط2، 1934، ص: 46.

(4)-نفسه، ص:47.

(5)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:19.

(6)- أحمد طاهر،**إفريقيا فصول من الماضي والحاضر**، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص: 66.

وبعد استقراء أقوال المؤرخين والوقوف على بعضها فمناطق السودان الغربي تضم حسب التقسيمات السياسية الحالية حوالي ثلاثة عشرة وحدة سياسية وهي: السنغال، غامبيا، غينيا بيساو، غينيا و سيراليون وهذه الوحدات تشرف على سواحل المحيط الأطلسي من ناحية الغرب وهي خمس وحدات سياسية وتضم المناطق الصحراوية ثلاث وحدات وهي: مالي، النيجر وبوركينافاسو، أما المناطق السودانية التي تشرف على سواحل خليج غينيا خمس وحدات وهي: ساحل العاج، التوغو، بينين، نيجيريا و الكامرون.

ويعد غربي إفريقيا منطقة إسلامية، وإن كانت تنخفض نسبة المسلمين في بعض أجزائها وتعد دولا ما دون النصف، ولكن إذا عددنا المنطقة جزءا واحدا فإن نسبة المسلمين ترتفع إلى أكثر من النصف وذلك لانتشار الإسلام على نطاق واسع في أجزاء كثيرة.[1]

(1)- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر غربي إفريقية)، 15ج، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط2، 1417هـ-1997، ج 15، ص: 05.

الفصل الأول

الإسلام ودوره في تأسيس مملكة مالي

1-البوادر الأولى لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا (جنوب الصحراء).

أ- الدعوة.

ب- التجارة.

ج- ظهور الإمارات الإسلامية في قلب السودان.

2- المرابطون وفتوحاتهم.

أ- البذرة الأولى للدولة المرابطية.

ب- دخول المرابطين غرب السودان وفتح غانة.

ج- نهاية الحكم المرابطي في السودان ونتائج ذلك.

3-"سوندياتا كايتا" وتأسيس إمبراطورية "مالي".

أ- أصل أسرة "كايتا"

ب- مذبحة الإخوة الأحد عشر وحكم الصوصو.

ج- سوندياتا واسترداد العرش.

إذا قلنا أن الإسلام دين طيار ينتقل مع الريح من بلد إلى بلد، لا تقف في سبيله جبال أو رمال فكيف عبر الإسلام وحده وبقوته وفضائله بحر الرمال الشاسع وأدخل في أمته أمم ما تحت الصحراء[1].

يعتبر دخول الدين الإسلامي في إفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى)، من الأحداث المهمة في تاريخ القارة الإفريقية، ومما ميز الإسلام والمسلمين باعتبارهم أصحاب رسالة، أنهم لم يؤمنوا يوما بنظرية تفوق الأجناس أو نقائها على غرار ما جاء به المستكشفون والمستعمرون الأوربيون فيما بعد، بل إن الإسلام جاء بأساسية في الدعوة إلى المساواة بصرف النظر عن اللون أو الجنس الأمر الذي أعطى المسلمين ميزة متقدمة دفعت إلى تمازج وتزاوج المسلمين القادمين إلى سكان القارة، بل نجد في فترات متأخرة من تاريخ العلاقات بين العرب المسلمين والأفارقة أن السكان الأصليين تمكنوا بعد اعتناقهم الإسلام من إدارة شؤونهم بأنفسهم في إطار علاقات متناغمة قائمة على الاحترام المتبادل، وقد تطورت هذه العلاقات عبر السنين إلى إنشاء دول وممالك إسلامية إفريقية أصيلة تدير نفسها بنفسها في ظل عقيدة إسلامية موحدة، انضوت تحت لوائها قبائل عربية إسلامية انتقلت إلى القارة سواء من شرقها أو شمالها[2].

وسأتحدث في هذا الفصل عن بدايات انتشار الإسلام في السودان الغربي، وأول ما كتب عن هاته الأحداث وكيف تداولها المؤرخون، وكيف ساهمت التجارة بفعالية كبيرة في نشر الإسلام، ثم التطرق إلى ظهور الحركة المرابطية وآثرها على المنطقة، ثم أدخل في سياق تأسيس مملكة مالي والتحدث عن مؤسسها وأوضاع تأسيسها.

1: البوادر الأولى لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا (جنوب الصحراء):

– لم يكن ارتباط العرب في غرب القارة الإفريقية يقل قوة عن ارتباطهم بشرق القارة ووسطها، فكما اتصل الوسط والشرق بسواحل جنوبي الجزيرة العربية والخليج العربي، اتصل غرب القارة بالشمال الإفريقي وتم

---

(1)– حسين مؤنس، **الإسلام الفاتح**، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، ص 86.

(2)– موسى حبيب: انتشار الإسلام في مملكة مالي، مجلة مركز دراسات الكوفة، كلية التربية، جامعة الكوفة، العدد السادس عشر، 2010، ص: 3

الاتصال في هذه الحالة عن طريق الصحراء الكبرى، وتؤكد الحقائق التاريخية بما لا يدع مجالا للشك أن الصحراء الكبرى كانت وسيلة ترابط و لم تكن وسيلة للانفصال في كثير من عصور التاريخ وأول ما سيلفت الانتباه أن معظم الدراسات التاريخية بما في ذلك الدراسات الأجنبية أكدت على وحدة القارة، وذلك قبل أن تظهر فكرة تقسيمها في أعقاب مؤتمر برلين، كما استدل بوفيل بالحقائق التاريخية والجغرافية على أن الصحراء الكبرى كانت عاملا من عوامل الاتصال و لم تكن من عوامل الانفصال، وأستند في ذلك على ما يتخللها من مسالك ودروب استخدمتها قوافل التجارة العربية التي نشطت في تحركاتها من الشمال الإفريقي إلى ما وراء الصحراء الكبرى(1)، وأول ما ذكر في انتشار الإسلام هو قول "البكري" أن بني أمية أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد السودان في صدر الإسلام،واستقرت ذرية من هذا الجيش في بلاد غانة وحملوا لواء الإسلام إلى أهلها.

أما عن طرق انتشار الإسلام في السودان الغربي فقد تعددت الأساليب، وقلما نجدها مجتمعة في مناطق محددة، فالفتوحات العسكرية كانت الحجر الأساس لانتشار الإسلام في فارس والمشرق العربي وشمال إفريقيا، ووصل الدين الحق إلى جنوب شرق آسيا وجنوب الهند بفضل النشاط الدعوي للتجار المسلمين وأخلاقهم الحميدة، وفي شمال القوقاز كان للطرق الصوفية الدور الكبير في نشر الإسلام، أم عن غرب إفريقيا فقد اجتمعت عدة طرق دخل الإسلام بواسطتها إلى تلك المنطقة(2).

وسنحاول أن نبرز بعض المظاهر التي ساهمت في نشر وانتشار الإسلام في هذا المحيط.

أ-الدعوة:

مما عمل على نشر الإسلام في غرب إفريقيا هم الدعاة الذين لا يخلو منهم وقت، وإن لم يكن هناك جمعيات خاصة للدعوة، ولا مسؤولون مدربون لهذا الغرض، ولا هيئات تشرف على الدعوة كما هي الحال في

---

(1)- جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، 1416هـ-1996م، ص:147.

(2)- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق،ص:33-38.

الإرساليات التبشيرية التي تدعمها أوروبا والاستعمار، والتي لها غايات وأغراض من وراء ذلك فإن الإسلام يختلف تمام الاختلاف، حيث أن الداعية الإسلامي يعمل من دون وساطة بينه وبين ربه، كما أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل فرد، بل يحصل منها المسلم على أفضل الثواب الذي يعمل في حياته الدنيا جاهدا له وهذا هو الهدف وهذه هي الغاية وكلها لله[1]، فعن "سهل بن سعد" –رضي الله تعالى عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "لعلي بن أبي طالب" –رضي الله تعالى عنه–:"**فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**"[2]، وهنا شعور بالمسؤولية التي ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد بقوله تعالى:"**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"[3].

إذ أن الداعية أكثر تشددا واهتماما في أداء واجباتهم الدينية واشد تحملا للمتاعب في سبيل الدعوة و لم يكن بحاجة إلى الخوف من مراقبة سلطة دنيوية عليا كما هو الحال في الإرساليات التبشيرية، لذا كان يعمل ويعلم إنه إن أخطأ فله أجر واحد وإن أصاب فله أجران[4].

هذا وقد بدأت بالدعاة والدعوة إلى الله لأنه واجب كل مسلم، وهم يشتملون على أصناف الناس، فمنهم التاجر والمحارب والرحالة والعامل وغيرهم، وكل هؤلاء الذين وصلوا إلى السودان عملوا على نشر هذه الرسالة العظيمة.

ب– التجارة:

الذي يفهم من المصادر العربية الأولى أن الإسلام دخل إلى بلاد السودان مع قوافل التجار التي كانت تتردد ما بين المغرب وبلاد السودان، ولما كانت الصحراء هي وسيلة الربط بين البلدين كان من الطبيعي أن يقوم أهل الصحراء بالدور الرئيسي في إقامة العلاقات التجارية في ما بين شمال صحرائهم وجنوبها في نشر

(1)–محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق،ص:33–38.

(2)– الحديث **أخرجه مسلم في كتاب العلم**، باب من سن سنة حسنة أو سيئة (4831)، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1985.

(3)– سورة آل عمران، الآية:104.

(4)–محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص 38.

الإسلام[1]،وعند التكلم عن التجارة لابد أن نشير إلى الطرق التجارية فعلى طول التاريخ لم تكن هناك إلا ثلاث طرق للاتصال بين شمال إفريقيا ووسطها،**أولها**:طريق نهر النيل فيهبط المسافرون إلى سناء، ومن هناك يشرعون في طريق الأربعين، وسمي بالأربعين لأنه لا يقطع إلا في أربعين يوما، ثم تسير القوافل في إقليم "دارفور" ومنه إلى بحيرة تشاد والتي تعرف بالكانم،**والطريق الثاني**:هو الطريق من "طرابلس" إلى "فزان" الغني بواحاته وآباره لتمر بمنطقة كوارو بين الواحة والواحة مسيرة يومين، بعدها تصل إلى بلاد الكانم ثم تتجه إلى قلب السودان، وهذا الطريق هو الذي ذكره "البكري" واعتمده "عقبة بن نافع" عندما شيد "القيروان" ويقول البكري أن عقبة وصل بالجيش إلى بحيرة تشاد،أما **الطريق الثالث**: هو طريق ساحل المحيط الأطلسي من وادي "درعة" إلى "نهر السنغال" ومسافة الصحراء شهرين ويوجد الماء على مراحل معقولة مسافة شهر، وكانت تسكنها قبائل صنهاجة، ثم تسير القوافل في حماية صنهاجة حتى "نهر السنغال"، حتى "أودغشت" و هي باب الدخول إلى السودان،وقد استطاع الإسلام أن يجد طريقه في هذه الطرق الثلاث ووصل إلى أهلهاودخل قلوبها شيئا فشيئا[2]

وقد كانت العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان مزدهرة، فقد قام "عبد الرحمان بن حبيب"والي المغرب ببناء مجموعة من الآبار على طول الطريق الموصل من "تامدلت" إلى مدينة "أودغشت"، ولا شك أن العناية بالطريق أكد الصلة بين إفريقية والسودان وعمل على التقليل من المشقة والأخطار التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية[3]وازدهرت تبعا لذلك حركة التجارة وانتشر الإسلام حتى "أودغشت" واستطاع عبد الرحمان أن يتم ما بدأه جده "عقبة" من حوالي نصف قرن[4]، أما في عهد الدويلات فتعتبر الدولة الرستمية(**144هـ-296هـ/761م-909م**)من أول الدول الإسلامية في المغرب الأوسط التي أقامت علاقات

(1)- نبيلة حسن محمد، **في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، ص 265.

(2)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 88- 90.

(3)- نفسه،ص91

(4)-نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 267.

اقتصادية وسياسية مع إفريقيا جنوب الصحراء، حيث كانت تمتلك العديد من القواعد الصحراوية التي تقع على طرق التجارة، وكان التجار المسلمون بمختلف مذاهبهم العناصر الأساسية في تنشيط العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها، فكلمة تاجر لم تكن تخص بالسلع فحسب بل كان لها مفهوم واسع، فقد كان منهم الدعاة والفقهاء، ومن مميزاته الحماسة الدينية والعمل على نشر الدعوة الإسلامية بالمنطقة، فالتاجر كان يحمل بجانب سلعته آرائه الدينية وقد حمل المسلمون معهم الثقافة العربية الإسلامية وكان هؤلاء أغلبهم من الإباضية، ومن أهم التجار والفقهاء الذين وصلوا إلى بلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية خلال القرنين الثاني والثالث هجريين الثامن والتاسع للميلاد منهم "نوح الصغير" و"أبو نوح سعيد بن مخلف المزاتي" الذي عاش بين (250هـ-300هـ/864م-912م) والذي اشتهر بتنقلاته إلى بلاد السودان، ويزودنا الدرجيني في كتابه:طبقات مشايخ المغرب بأسماء بعض التجار الذين سافروا إلى السودان الغربي لغرض التجارة، كان منهم تاجر يدعى:"فلعون بن إسحاق بن واسن الذي قام بزيارة "غانة" من طريق سجلماسة حيث توفي هناك، ولم يقتصر العمل الدعوي والتجاري على الاباضيين فحسب، بل هناك تجار سينون أيضا، حيث يذكر الدباغ في كتابه:معالم الإيمان أن أحد فقهاء المالكية توفي سنة (275هـ/792م)، كان تاجرا وله وكيل تجاري يجمع له البضائع لتحملها القوافل الصادرة من الشمال الإفريقي إلى بلاد السودان.ومن نتائج الاتصالات الاقتصادية والسياسية بين المغرب الأوسط السودان الغربي انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية بالتدرج إلى أن أدى في النهاية إلى تكوين[1]دول إسلامية كثيرة مثل: غانة، مالي، سنغاي و كانم، وصاحب انتشار الإسلام اللغة العربية فكان الكثير منهم يجيدون الحديث باللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية[2]وإلى جانب الرستميين فقد نشطت التجارة مع بلاد السودان أيام الزيريين، بنو زيري بن مناد خلفاء الفاطميين في حكم المغرب وبين

---

(1)- مسعود خالدي، الصلات الاقتصادية الدبلوماسية بين المغرب الأوسط السودان الغربي وآثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث الهجريين، دورية كان التاريخية، العدد العشرون، يونيو، 2013، ص 85، 86.

(2)-نفسه، ص86

ملوك السودان علاقات طيبة، بدليل وصول هدية من أحد ملوك السودان سنة (382هـ/992م) إلى المنصور فيها زرافة[1].

وقد اتخذت جهود نشر الإسلام بين سكان السودان الغربي الطابع الفردي كما ذكرنا من خلال التجار المسلمين في حلهم وترحالهم وعن طريق ممارستهم للعقيدة الإسلامية حصل معظم شعوب غرب إفريقيا وسواحلها على المعارف الإسلامية الأساسية ودخل الإسلام إلى مدن وقرى السودان الغربي بالأسلوب الإقناعي السلمي، وكان أعتناق فرد واحد من أبناء قبائل الفولاني أو السونتكي أو الماندنغو الدين الإسلامي بمثابة تعزيز جديد للدعوة الإسلامية بكسب داعية يسعى طواعية وبكل همة لاكتساب شخص آخر إلى جانبه يعتنق الإسلام من أبناء القبيلة أو من قبيلة أخرى مجاورة، وكانت جماهير غفيرة تنجرف وراء ملوكها وزعمائها متسارعة معهم في الإقبال على الإسلام لاسيما أصحاب الامتيازات من أبناء الطبقة العليا في ذلك المجتمع وكانت تلك الخطوة الأولى نحو إنشاء الدولة الإسلامية في السودان الغربي، ويذكر المؤرخون أن المناطق العليا لنهري النيجر والسنغال قد أصبحت تحت النفوذ الإسلامي منذ القرن الثامن الميلادي، وكتب الجغرافيون العرب عن هذا الجزء من العالم منذ ذلك التاريخ، وكان المسعودي احد أولئك المؤرخين الذين كتبوا عن تلك المنطقة، وساهمت الأنشطة التجارية عبر الصحراء بين الشمال والجنوب في انتشار الإسلام بين شعوب تلك المنطقة بصورة ملموسة[2].

ج- ظهور الإمارات الإسلامية في قلب السودان:

يرجع تاريخ اعتناق أول إمارة سودانية الإسلام إلى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، منذئذ تلاحق تحول عدد الإمارات والحواضر السودانية للدين الجديد وقد كان لانتظام المسالك التجارية بين ضفتي الصحراء خلال الفترة نفسها أثر بالغ في تحقيق هذا التحول، ذلك أنه ساعد ومهد السبيل أمام الفقهاء والدعاة

(1)-نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 268.

(2)- عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ص:4، 5، 17.

المسلمين لارتياد المراكز السودانية بهدف نشر الدعوة الإسلامية، فمتى وكيف ظهر الإسلام بتكرور وغانة وملل وكوكو؟

-الإسلام في تكرور:

تكرور إمارة صغيرة تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال، وكانت من أولى المناطق السودانية التي أخصبها الإسلام، ويرجع تاريخ اعتناق أهل تكرور للإسلام إلى الثلث الأول من القرن الخامس الهجري أي قبل قيام الحركة المرابطية، وهذا ما نستخلصه من كلام "البكري":"**وأهلها سودان وكانوا على ما ساير أهل السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكيروالدكور عندهم الصنم، حتى وليهم ورجابي ابن رايس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام،وتوفي ورجابي سنة(432هـ/1040م-1041م) فأهل تكرور اليوم مسلمون**" ومن هنا شع الإسلام في ممكة تكرور وشكلت إحدى الوحدات السياسية الهامة في بلاد السودان، لا تقل في شيء عن مملكة غانة على المستوى السياسي، وقد كان لهم دور هام في نشر الإسلام بين قبائل "الملم" أو "الماندينغ" حسب الاصطلاح الحديث التي تؤسس إمبراطورية مالي.

الإسلام في مملكة غانة:

تقع مملكة غانة في اتجاه الشرق عن أرض تكرور وجل المصادر تتحدث عن مدينة "قومبي صالح" التي توجد جنوب شرق "موريتانيا الحالية"[1]، فقد أدت الصلات التجارية والثقافية إلى انتشار الإسلام في غانة والتي كانت وثنية قبل هذا، رغم أن الكثير من المؤرخين يرجعون هذا الانتشار إلى جهود المرابطين و لا يعيرون أهمية كبيرة للجهود السابقة لهذه المرحلة، ونحن نعلم أنه حدثت هجرة متواصلة واستقرار في المراكز التجارية لمسلمي شمال إفريقيا، وقد أدى هذا إلى محاولة فردية لنشر الإسلام والتي كانت بسيطة ولكنها كانت البداية لوجود الإسلام هناك، والتي تطورت إلى جهود جماعية عملت على نشره بقوة في غرب إفريقيا، ولما كانت غانة جزء من هذه المنطقة فإن الإسلام ولاشك قد دخلها وأنتشر بين سكانها ولو بدرجات متفاوتة إذ لا

(1)- أحمد شكري: المرجع السابق، ص 93- 97.

تستطيع أن نقول أن البلاد كلها قد اعتنقت الإسلام[1]. ولكننا نرجح أن أعدادا كبيرة من سكانها قد قبلت هذا الدين وأن مظاهر الإسلام من شعائر وثقافة ومساجد بما في ذلك اللغة قد وجدت طريقها إلى غانا منذ وقت مبكر[2]، وبالرجوع إلى البكري فيذكر عن الملك الذي توفي عام(**455هـ/1063م**):"**كان محمود السيرة محبا للعدل مرشد للمسلمين**" وابن أخته الذي حكم بعده يعتمد على المسلمين في تسيير دواليب الحكم، ومع أنهم يسمحون بتشييد المساجد حتى يتسنى للمسلمين إقامة مشاعرهم الدينية بكل حرية وعلانية وفي الوقت نفسه كان المالكان الغانيان"سي، وتنكامين" ما يزالان يحتفظان بمعتقداتهم الوثنية و لم يعتنقا الإسلام بعد، ومهما يكن من هذا الأمر علينا أن لا نتغافل عن دور العامل الزمني في قلب الأفكار والمعتقدات وأن نقدر هذا المعطى في معالجة القضية، ولا حاجة للتذكير أننا مازلنا نعيش المرحلة الجنينية لحضور الإسلام بالسودان.

-الإسلام في كوكو:

تقع مدينة كوكو عند بداية الثنية الثانية لنهر النيجر، وهي لا تبعد عنه بأكثر من ستة كيلومترات وتعتبرها بحوث الأركيولوجية من أقدم الحواضر السودانية، ومنذ القرن الثالث هجري التاسع للميلاد، كان تجار ودعاة وفقهاء إفريقية المالكيون يرتادون إمارة كوكو، ومنهم من كان يستقر بها، وخلال القرن الموالي يطلعنا "المهلبي"[3](**380هـ/990م**) على ثمرة هذا التفاعل حيث تدلنا روايته على أن الإسلام انتشر بين أهل كوكو وأصبح ملك البلاد يظاهر رعيته عليه، ومهما يكن من أمر في هذه المسألة فإن الإسلام سيعرف تطور ملحوظ بين أهالي كوكو خلال القرنين الخامس والسادس من الهجرة، وتقدم لنا شواهد قبول كاغ كوكو الملكية؛ شهادة بالغة الدلالة على مدى تأثير الإسلام في حياتهم، ذلك أن جل الشواهد تحمل أسماء عربية لملوك

(1)- عطية مخزوم الفيتوري: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، منشورات جامعة تونس، بنغازي،ط1، 1998، ص:245.

(2)-نفسه، ص:246.

(3)- المهلبي: قد وردت إشارته عن ياقوت الحموي، "**معجم البلدان**"، بيروت، دار صادر، 1996م، ج4، مادة كوكو، ص: 495.

السنغائيين حكموا المنطقة ما بين(464هـ-663هـ/1100م-1266م) أكثر من ذلك نجد البعض من أولئك الملوك انتحل أسماء الخلفاء الراشدين مثل "أبي بكر الصديق" و"عمر بن الخطاب"- رضي الله عنهما-[1]

-إسلام ملك ملل:

حسب البكري يوجد بلد ملل جنوب مملكة غانة، والمسافة الفاصلة بين عاصمتيهما يضيف الإدريسي نحو 12 مرحلة، أما عن ظروف إسلام ملكهم:"**وملكهم يقصد ملك بلد مالي يعرف "بالمسلماني" وسمي بذلك لأن بلاده أجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون إلا قحطا، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة، فشكا الملك إليه ما دهمهم من ذلك فقال: أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررتبوحدانيته وبمحمد – صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك، وأن تحل الرحمة على أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك ونواك. فلم يزل به حتى أسلم واخلص نيته واقرأه من كتاب الله ما تيسر وعلمه الفرائض والسنن، ثم استنابه في ليلة جمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سائغا، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به، والمسلم يدعو والملك يؤمن فما انفجر الصباح إلا والله قد عمهم بالسقي، فأمر الملك بكسر الأصنام، وإخراج السحرة من بلاده وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون فوسموا ملوكهم من ذلك بالمسلماني**". وبالنسبة لزمن الحدث يظهر من صياغة البكري من خلال بعض العبارات التي استعملها يعرف "بالمسلماني"، فإن إسلام ملك مالي يعود بالتقريب إلى النصف الأول من القرن الخامس الهجري ولا داعي للتعليق بالتاريخ الذي حدده "دولافوس" و"هوسنة"(442هـ/1050م) وتبناه بعده المؤرخون.

---

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 102، 103، 106.

وأخيرا نشير على البكري في استعراضه للأحداث عندما يشير إلى تحول أمير أو ملك سوداني في الإسلام فإنه لم يكن قط يقصد أن رعاياه قد أصبحوا بالضرورة مسلمين، عملا بالقول المأثور: "الناس أو العامة على دين ملوكها"[1]

2: المرابطون وفتوحاتهم

أ- البذرة الأولى للدولة المرابطية:

كانت مملكة غانة خطرا شديدا يهدد بربر صنهاجة الضاربين في الطرف الغربي للصحراء الكبرى الفاصلة بين المغرب وإفريقيا المدارية، وأهم القبائل الصنهاجية: لمتونة، مسوفة، جدالة، جزولة، بنو وارث وتارجا، وكانت هذه القبائل مهددة في نفس الوقت بقبائل زناتة التي بسطت سلطانها على المغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وقد استولوا على سجلماسة وضغطوا على صحراء صنهاجة ضغطا كبيرا، وهذا الشعور بالخطر على المصير والضياع بين الزناتيين من الشمال وسلطان غانة من الجنوب كان الدافع الحقيقي الذي جعل "يحي بن إبراهيم" شيخ قبيلة جدالة يرحل إلى المشرق باحثا عن وسيلة يستطيع أن يجمع بها كلمة قومه وتوحيدهم للتحرر من ضغط الزناتيين من الشمال والغانيين من الجنوب.

ورحل إبراهيم جدالي إلى القيروان وقابل هناك "وجاج بن زللو"، الذي رشح له "عبد الله بن ياسين" ليكون قائدا لدعوته الدينية والسياسية، وكان شابا عظيم النشاط واسع الذكاء متفقها في الدين، فرحل معه إلى جدالة لكنه طرد، ثم توجه إلى لمتونة أقوى قبائل صنهاجة الصحراء، وأشدها تمسكا بالدين، وكان يرأسها "يحي بن عمر" فرحب به وأصبح "عبد الله بن ياسين" هو الإمام والمعلم والموجه الديني و"يحي بن عمر" الموجه والقائد السياسي.ووفق "عبد الله بن ياسين" توفيقا عظيما فتمكن من جمع صفوف لمتونة وتكوين قوات مجاهدين في سبيل الدين سماهم المرابطين، واستطاع هذا الرجل أن يحول هذه الكتلة الصنهاجية إلى قوة

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 100، 102.

عسكرية مجاهدة ضخمة تحارب في جهتين[1] جهة زناتة في الشمال وجهة السودان الغاني في الجنوب، وكان توفيقه عظيما،فاستولى على"أودغشت"من الغانيين سنة:1066م،وانتزع سجلماسة من أيدي الزناتيين وبهذا ملك المرابطون طريق التجارة،الثروة والمال، وتجردوا لما هو أهم من ذلك وأبعد مدى وهو الجهاد.

ووصل المرابطون مجاهدين نحو الجنوب إلى حوض السنغال وتمكنهم من الزناتيين الذين كانوا يسودون أحواض ووديان درعة وتاسفيت، وشرعوا في بناء مراكش في:**23 رجب 462هـ/03 مايو 1070م**، التي أصبحت فيما بعد أعظم عواصم الإسلام وأجملها، وبإنشاء مراكش انقسمت دولة المرابطين إلى دولتين، شمالية إلى بلاد المغرب وجنوبية إلى بلاد السودان.

وتفصل ما أجملناه أن "يحي بن عمر" توفي في جهاده في السودان فخلفه أخوه "أبو بكر بن عمر" الذي سار في طريقه معتمدا على "عبد الله بن ياسين" الذي توفي سنة:(**451هـ/1059م**)، وكان ل"عمر بن إبراهيم" والد "يحي بن عمر" وأخيه "أبي بكر" أخ يسمى "تاشفين" عمل في خدمة أخيه حتى مات فخلفه ابنه يوسف فكان شابا موهوبا، وأصبح من كبار قواد المرابطين وهو الذي وحد بلاد المغرب فيما بعد تحت حكم المرابطين، وانتقل إلى ما خلف البحر يعني الأندلس وأنقذها من الهجمات الاسبانية وقضى على امتدادهم في معركة "الزلاقة" الشهيرة ودانت الأندلس إلى لواء المرابطين[2]

ب)- دخول المرابطين غرب السودان وفتح غانة:

بعد أن أصبحت حركة المرابطين واسعة الأطراف، امتدت إلى قبائل الصحراء ونشرت الدين الإسلامي بين الشعوب الوثنية هناك، ودخلت قلب إمبراطورية غانة، وأخضعت بدو الصحراء وقبائله وساهمت في تحويل شعب تكرور إلى الدين الإسلامي، فكانت حركة مباركة ساهمت بنصيب كبير في حمل لواء الدعوة الإسلامية

(1)- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 98- 101.
(2)-نفسه، ص: 102.

إلى ذلك الجزء من القارة الإفريقية[1] وقد توجه "أبو بكر بن عمر" قائد المرابطين إلى الجنوب وأخذ بنشر الإسلام بين الزنوج ودخل الناس في دين الله أفواجا، وخاصة في منطقة نهر السنغال حيث تحول كثير من شعب الفولاني إلى الإسلام ووصل إلى أسوار مملكة غانة وأخذ يهاجمها بقوة وثبات مستعينا بالفولانيين المسلمين وفي عام:(469هـ/1076م) سقطت مدينة كومبي صالح عاصمة غانة وضمها المرابطون إلى أراضيهم،وقبل ملك غانة وكان يدعى "تانكمين" الدخول في الإسلام والخضوع للسلطان المرابطي، وبإسلامه دخل الكثير من رعاياه في الإسلام وأصبحت غانة جزءا من دولة المرابطين[2]وذلك بعد صراع دون انقطاع لمدة أربعة عشر عاما وكفت إمبراطورية غانة عن الوجود كقوة عظيمة[3]،ونشير إلى أن هناك ظروف ساعدت المرابطين على دخول غانة أهمها الوضع السياسي والاقتصادي السيئ للملكة غانة بسبب الحصار المرابطي، ووقوف التجار المسلمين في حوض نهر النيجر إلى جانب المرابطين دون أن ننسى قبائل الفولاني التي كانت تكن العداء للسونتكيين[4]. وبهذا يكون قد تحقق الانتصار الرائع للمرابطين بدخول غانة وأصبحوا في الوقت نفسه ذوي قوة وشأن حيث بسطوا سيادتهم على الزنوج بعد أن قاموا بتدمير إقليمهم وإخضاعهم لنظام الجزية واستمالوا الكثير منهم للدخول في الإسلام، وقضوا على نفوذ ملوك غانة وجيرانهم الجنوبيين[5].

ج)-نهاية الحكم المرابطي في السودان ونتائج ذلك:

بعد أن فتح "أبو بكر بن عمر" عاصمة غانة سنة:1076م ظل الإسلام ينتشر ويتوسع في أرجاء غرب السودان، وكان لكل إمارة وقبيلة رجل من أهاليها وهو على دين الإسلام يحكمها، وفي سنة:1087م توفي "أبو بكر بن عمر" قائد الجناح المرابطي في الجنوب بعد أن قدم للإسلام خدمة لا تقل أهمية مما أداه "يوسف بن تاشفين" في الجناح الشمالي لحركة المرابطين، ولقد أدت وفاة "أبو بكر بن عمر" إلى زعزعة حكم المرابطين في

(1)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 12.

(2)- محمد ناضل علي باري، سعد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:71.

(3)- ك. مادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:86.

(4)- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص:247.

(5)-في.جي.دي، المرجع السابق، ص:49.

غانة وبدأت تضعف أمور دولتهم والذي نتج عنه أمر خطير، سيغير فيما بعد مجرى الأحداث في هذه المنطقة[1]حيث استغل الغانيون هذه الفرصة وشنوا هجوما على المرابطين وذلك بسبب اختلافهم بعد وفاة أميرهم، واستعادت غانة عاصمتها وحريتها، وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد مباشرة، فغانة الجديدة لم تكن كغانة السابقة، من ناحية الدين فالإسلام قد انتشر فيها وأصبح ملوكها مسلمين وأجبروا شعوبهم على لبس العمامة وادعوا بالانتساب إلى "الحسن بن علي بن أبي طالب" – رضي الله عنهما- وأصبح سكان غانة من السوننكي مسلمين بل وشديدي الحماسة للإسلام وتفرغ بعضهم للدعوة وأصبحت كلمة سوننكي مرادفة لكلمة داعية عند الكثير من قبائل الماندينغ، كما كثرت المساجد وعم تعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية والحق كل مسجد بمدرسة وغدت اللغة العربية الوحيدة للعبادة والثقافة والتجارة[2]وهناك مملكة سوداء ثانية وصلتنا شهرتها وهي مملكة مالي MALIوتسمى المملكة المالينكية أو الماندنجية كما أشرنا سابقا[3] وعلى الرغم من استرجاع غانة لسيادتها وحكمها من المرابطين إلا أنها ظلت ضعيفة وهشة سياسيا واقتصاديا، فقد توقفت حركة التجارة بسبب التجريدات الحربية التي كان المرابطون يرسلونها إلى الشمال والجنوب عن طريق تجارة الصحراء الغربي والذي كان يتجه إلى "تفيليلت"[4] والذي كان حيويا بالنسبة لحياة غانا الاقتصادية،ومن قبل قلبت الإغارات التي قامت بها غانة من أجل الحصول على مرعى لقطعانها التوازن الطبيعي الذي كان سائدا بين الإنسان والطبيعة، هذا التوازن الذي قامت على أساسه الزراعة في المنطقة القريبة من الصحراء، فقد أدت هذه الإغارات إلى إهمال الآبار والقضاء على الغطاء النباتي فضلا عن زحف الصحراء جنوبا حتى وصلت إلى مدينة "كومبي" عاصمة غانة، والتي لم يعد في إمكانها تزويد المدن التابعة لها بما يلزمها من الاحتياجات ولو لعدد قليل من الناس، وكانت الممالك القديمة قد بدأت في الانهيار قبل حدوث هذا التدهور و لم يعد في مقدور

---

(1)- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 103.

(2)- محمد فاضل علي باري، سعد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:71.

(3)- دنيس بوليم، المرجع السابق، ص:50.

(4)-في.جي.دي، المرجع السابق، ص:50.

ملوكها الإشراف على الثروة الضرورية لبلادهم، ولم يقتصر هذا الانهيار على الزراعة فحسب بل شمل التجارة أيضا التي كانت تمر من خلال غانة بالشمال وأصبح شعبها وجيرانها في حاجة اقل لهذه التجارة[1].

وكان من الممكن أن تستمر سطوة غانة ومكانتها لولا انهيار المرابطين السريع فيها وعودة الخلافات الجديدة بين القبائل الصحراوية التي كانت دوما سببا في ضعفهم، وفي مدة عشرة أعوام استطاع السوننيك استعادة حكمهم واستقلالهم ولكنهم كانوا كالمرابطين تعوزهم الوحدة وتسيطر عليهم الروح القبلية، فعاد الشقاق إلى صفوفهم بسبب أوضاعهم المزرية وبدأت القبائل في التمرد[2].

ويقول مادهو بانيكار في هذا الصدد:"أن غانة احتفظت بوجودها وهو أقرب إلى الشبح ولكن مجدها كان قد بارحها، فالتجارة التي قام عليها رخاؤها دمرت، والمركزان التجاريان:**اودغشت وسلجلماسة** كان في أيدي الغزاة الصحراويين ويعتقد ديلافوس أن الغزو والفتح قد مزق الإمبراطورية إلى جزئين: شمالي وجنوبي[3]. فالجزء الشمالي منها سقط في أيدي عائلة بربرية تزعم أنها من الأشراف وفي الجنوب ظلت الأسرة الوثنية القديمة تحتفظ بالسلطة ولم تعد غانة التي أصابها الوهن في وضع يمكنها من ممارسة أي نفوذ على المقاطعات التابعة لها التي بدأت تستقل عنها الواحدة تلو الأخرى[4]، وفي هذا الضعف الكبير والتدهور السياسي والاقتصادي والنزاع القبلي واستقلال كل قبيلة وإمارة بحكمها الذاتي كانت كحتمية تاريخية سقوط مملكة غانة فقد كانت مقاطعة "كانياغا" مركز قبائل الصوصو إحدى هذه الأقاليم والتي كانت تدفع الجزية لغانة إبان حكم الأخيرة لها قبل فتح المرابطين، وبعد هذا أعلنت استقلالها واحتلت مقاطعات لها وأصبح ملك الصوصو

(1)في.جي.دي، المرجع السابق ، ص 51.

(2)- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص:254.

(3)-مادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:86.

(4)-نفسه، ص:87.

زعيما لتكتل ممالك زنجية وثنية يضم بالإضافة إلى مملكته كل من مملكة غالامGalam ومملكة ديارDiara وتقع كلها على المناطق القريبة منها، ثم انتهى إلى ضم مملكة غانة بدءا بإنشاء إمبراطوريته(1).

3:"سونديا تاكايتا" وتأسيس إمبراطورية "مالي":

بعد أن قامت قبائل "الصوصو" بغزو مدينة "كومبي" تحت قيادة الملك "سومانجوروSumanguru" فرض عليها هذا الغازي الجديد نظاما استبداديا، وجزية طائلة أفلست أهلها، الذين سارع الكثير منهم إلى الفرار شمالا حتى وصلوا إلى مدينة ولاتا التي كانت بعيدة عن سيطرة قوات الملك "سومانجورو" ولم تدخل في حدود المملكة الجديدة التي أنشأها هذا الملك، وبوقوع مدينة كومبي تحت هذا الأسر زالت صفتها الرئيسية كمركز تجاري، وانعدم نشاطها في هذا المجال تماما وبالتالي فإن المملكة الجديدة فقدت أهلها في تبوؤ المكانة الاقتصادية الرفيعة التي كانت تتمتع بها إمبراطورية غانة وقبائل السونيك(2).

أ)-أصل أسرة "كايتا":

وبالعودة إلى مملكة مالي و قبائل الماندنجو فكما أوضحنا سابقا فهم أصحاب دولة مالي، ولقد تولت أسرة كايتا الحكم في مملكة مالي، وهذه الأسرة لا نعرف شيئا محددا عن أصلها، وإن كانت المنشورات تقول أن مُنشأها رجل مسلم من الماندنجي، يسمى:"موسى ديجو" وقد تولى العرش في مالي بين سنتي:1200 و 1218م(3)، وأطلق عليه ابن خلدون اسم:"برمندان" بقوله:" يذكرون أن أول من اسلم منهم برمندان، هكذا ضبطه الشيخ عثمان، وحج هذا الملك واقتضى سنته في الحج ملوكهم من بعده"(4).ولقد أخلط صاحب العبر بين برمندان و المسلماني، فالمسلماني أول من أسلم من ملوك مالي كما ذكرت قصته سابقا.

---

(1)-محمد ناضل علي باري، سعد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:72.

(2)- جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، تر: مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، ص:67.

(3)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 110، 111.

(4)- عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون:"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 7ج**، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ج6، ص:266.

وهناك رواية تقول أن"موسى ديجو" هذا من سلالة بلال الحبشي مؤذن الرسول – صلى الله عليه وسلم وأنه جاء طفلا من الحجاز وجاء أبوه إلى بلاد الماندنجي وتزوج فيهم واستقر في بلاد مالي وأنشأ أسرة كايتا، وكايتا لقب اتخذه وهو اسم محرف عن عبارة عربية ماندنجية هي "الله كوي" أي الله خالق كل شيء ثم حرفت إلى الأكويتا ثم كايتا[(1)]، وهذا كله ربما مجرد فرض لأن كايتا كان لقب أسرته من أول الأمر ثم اخترعت الأسطورة بعد ذلك، وأنجب موسى عدد كبير من الأولاد، فخلفه أكبرهم ويسمى"ناري فان ماجان" أو "ناري فاغمان"[(2)]، وقد نشأت متاعب بين 'ناري فاغمان"وإخوته لكنه تحالف مع قبيلة "كيري" ضد قبيلة "ودودج" وكان النصر حليف "كيري" و أصبح "فاغمان"الرئيس الأعلى لمالي[(3)]، وقد ظل يحكم حتى سنة1230م، وقد بذل أثناء حكمه جهودا كبيرة في نشر الإسلام بين رعيته[(4)].

عرفت فترة حكم"ناريفاغمان"فترة حساسة وحاسمة، فكما ذكرنا فقد استولت قبائل الصوصو على غانة و أراد سمنغر[(5)]، أن يضع إمبراطوريته في أرض السودان فوقع بينه وبين الماليين صراع ولكن الصوصو كانوا أكثر عدة وقوة إذ امتدت مملكتهم من النيجر شرقا حتى تاجنت غربا والسنغال جنوبا، وتعين على سمنغركي يدعم سلطة أن يخضع مالي وحانت له الفرصة عندما توفي "ناري فاغمان"[(6)]. وبدأ سومومانجورو بغزو مملكة كانجاباKANGABالتي أنشأها قبائل الماندنجو و استولى عليها بصعوبة نظرا لأن قبائل الماندنجو كانت من أقوى القبائل الإفريقية اتحادا فقاومت بشدة هجمات الصوصو إلى أن تم إخضاعها[(7)]

(1)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 110.

(2)-نفسه، ص 111.

(3)-مادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:93.

(4)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 111.

(5)-سمنغر: وهو:"سومانجورو" نفسه ملك الصوصو واختلاف في التسمية بين المؤرخين.

(6)-مادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:94.

(7)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:65.

ب)-مذبحة الإخوة الأحد عشر وحكم الصوصو:

توجد روايتان لما حدث ولكنهما تتفقان أن مالي خضعت لحكم الصوصو، وتذكر إحدى الروايتين أن "ناري فاغمان" أنجب أثني عشر ولدا، أحد عشر منهم من زوجة واحدة، و"سندياتا" من الزوجة الأخرى(1) لذلك فقد دبر "سومانجورو" حيلة استطاع بها أن يجمع الأمراء الأشقاء الإثني عشر الذين كان ينحصر فيهم حق اعتلاء عرش كنجابا، وبطريقة وحشية ذبح "سومانجورو" أحد عشر أميرا وترك أخاهم الأصغر الأمير "سندياتا" ولم يذبحه استصغارا لشأنه، فقد كان هذا الأمير الطفل كسيحا لا يستطيع تحريك قدميه، ولهذا فلم يتوقع "سومانجورو" أي خطر من جانب هذا الأمير الصغير فأنقذه من الذبح(2)

ج)-سونديانا واسترداد العرش:

إذا كانت حصيلة معلوماتنا المصدرية عن مرحلة تأسيس إمبراطورية مالي قليلة وفقيرة، فإن الرواية الشفهية سوف تغرقنا في كم هائل من المعلومات عن هذه المرحلة التي ارتبطت بشخصية سندياتا وسيكون من الصعب علينا استعراض ومعالجة مجموع الروايات الشفوية التي جمعها المؤرخون دون أن نخرج عن موضوع بحثنا(3). "ساندياتاكايتا" ابن "ناري فاغمان" ابن "موسى كيتا" المعروف ب "موسى الأكوي" وقد اشتهر "سنديانا" بلقب "ماري جاطة"(4) ومعنى "ماري" عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان و "جاطة" الأسد، الأسد، فالكلمتان تعنيان "الأمير الأسد"(5)، وهناك تفسير آخر لكلمة "سندياتا" باللغة الماندية هو " الأسد الجائع"(6) ولكن نرجح رواية ابن خلدون لأنها الأقرب إلى الروايات الشفوية.

---

(1)-سادهوباتيكار، المرجع السابق، ص:94.
(2)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:66.
(3)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص:180.
(4)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:51
(5)- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص: 266.
(6)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:66.

وتقول الأسطورة أن القوة الكامنة في هذا الاسم منحت الأمير سندياتا القدرة على أن يقف على قدميه، وأن يصمم على إعادة أمجاد مملكة كانجانا والعمل على رقيها،وأيا كانت القيمة الحقيقية للمعلومات التاريخية التي تتضمنها هذه الحكايات والأساطير المتوارثة إلا أن الشواهد الفعلية التي ذكرت في التاريخ المكتوب تؤكد وقوع أحداث مشابهة[1]وقد تشرد سانديانا في الأقاليم الجنوبية لمالي وبصحبته نفر من أصحابه الشجعان[2]وعمل سندياتا على مصاهرة الأسرة الملكية في "ديارة"[3] فكان له ذلك وأصبح سلطانه عليها، وفي غضون ست سنوات أخضع القبائل المجاورة لسيطرته ومع ذلك كان يخشى منازلة الصوصو، وكان شعب مالي يئن تحت سيطرة ووطأة القهر الذي فرضه الصوصو. وكان المخلص الوحيد أمامهم سندياتا فاستنجدوا به[4].

كان"سومانجورو" ملك الصوصو مستاءا من المكانة التي وصلتها أخبار سندياتا واتساع حدوده فأراد التآمر ضد القبائل المالية، ولكن يبدو أنه قد حدث انشقاق في جبهة صوصو حيث نشب صراع بينه وبين أخيه وقائد جيوشه في نفس الوقت، ويبدو أن هذا الصراع كان قويا لدرجة أن الأخير انضم إلى جيوش سندياتا ووقع الاشتباك الأول بين جيوش مالي وصوصو، وبعد معركتين متكافئتين كان اللقاء الحاسم في "كرينا"[5] سنة:633هـ/1235م،حيث تمت الغلبة لسانديانا بفضل جيشه القوي والمنظم والملتهم حماسا والمؤيد لقائده[6]وتمكن من طرد صوصو من بلاد مالي وأعاد الاستقلال لبلاده وتربع على عرشها وغلب عليه اللقب الذي أطلق عليه أصحابه هو"ماري جاطة"أو"ماريديانا"[7]،وباستحواذه على الأقاليم التي كانت خاضعة ل"سومانجورو" قام زعماء قبائل الماندينغ بتنصيب"ماري جاطة" كإمبراطور عليهم، وإبان حفل تنصيبه خلع زعيم الماندينغ لباس الصيادين وظهر في المنصة الشرفية أمام الزعماء لتقبل آيات الولاء والطاعة بلباس المسلم

(1)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:67.

(2)- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 111.

(3)- **ديارة**: وهي قبيلة من قبائل الماندنجو.

(4)-سادهوباتيكار، المرجع السابق، ص:95.

(5)- **كرينا**: تقع بالقرب من باماكو الحالية، ارجع الإسلام الفاتح، ص:111.

(6)- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 272.

(7)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 111.

المؤمن "كندورة بيضاء"[1]،وهذا اللباس الأبيض يمثل نموذج الخليفة المسلم القوي. إن هذا العمل وإن اتخذ شكلا رمزيا فإنه يدعونا للتساؤل عن الأسباب والحوافز السياسية التي جعلت مالي منذ تأسيس إمبراطوريتهم يتعلقون بالإسلام ويستظلون بظله في بسط نفوذهم.

لقد لعب الإسلام دورا جوهريا في توحيد قبائل الماندينغ وغيرها من شعوب وقبائل السودان، من ثم نفهم ارتكاز حكام مالي على الإسلام في بناء إمبراطوريتهم، ولم يكن للمعتقدات الوثنية أن تقدم لهم هذا الامتياز باعتبارها تجعل الفرد مدينا لأسرته وعشيرته ولا شيء غيرهما،إنها عقيدة تسعى دائما لتأكيد الخصوصية المحلية بهدف التمييز عن الآخر، وبذلك فهي لا تسمح للفرد بتجاوز الحدود الضيقة التي ترسمها الأعراف والتقاليد الخانقة[2].

وبالرجوع إلى نصر سندياتا لم يكن نصرا عسكريا حاسما على خصم عنيد فحسب بل كان له أثر كبير وأكثر أهمية تمثل في توثيق قوة التحالف بين تلك القبائل والعشائر التي كونت الجيش الذي أحرز النصر في كيرينا، وبعدها لاحق سندياتا" ومانجورو"وزحف على صوصو وأخضعها واستمرت تحت حكمه خمس سنوات، وفي عام 1240م نقل عاصمة ملكه إلى نياني، التي بناها على نهر النيجر الأعلى متوسطة بذلك أنحاء الإمبراطورية التي امتدت من بلاد الهوسا شرقا حتى المحيط غربا، وضمت مصادر الثروة المعدنية الرئيسية كمناجم الذهب والملح، ولو حاولنا تقصي الأسباب التي جعلت سندياتا يقدم علة نقل عاصمته لوجدناها تتلخص في الآتي:- رغبته في أن تحتل عاصمته موقعا وسطا في إمبراطوريته إذ أن العاصمة القديمة كانت تبعد عن مركز الدولة – عدم شعوره بالأمان وسط عائلته بعاصمته السابقة وخاصة أنها محاطة بالجبال مما يجعل الاتصال بها أمر صعبا يمتاز موقع العاصمة الجديدة بالحصانة ووجودها في سهل تجاري وهو سهل نهر سكراني

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص:181.

(2)-نفسه، ص: 182.

الذي يصلح للملاحة طول العام، وتحيط به نصف دائرة من المرتفعات كما أنه متاخم لمناجم الذهب ومصادر الكولا والزيت و منتوجات تدر أرباحا هائلة(1).

إن إسلام قبائل الماندينغ و التجاء"ماري جاطة"بهم في الجنوب، يؤكد لنا أن الإسلام انتشر بينهم قبل تأسيس إمبراطورية مالي، لذلك لا نرى عبرة لما ذكره ابن بطوطة من أن سارق جاطة"ماري جاطة، قد اسلم على يد جد الفقيه "مدرك بن فقوص"كما أن استغلال الباحثين لإشارة رحالتنا هذه للتلويح بتعثر الإسلام بين أهل مالي وملوكهم يعتبر تأويلا متهافتا وطرحا واهيا(2)كما أن الدين الإسلامي الذي اعتنقه أباطرة مالي منذ البداية كان خير عون للملك سانديانا، وكان بدوره مسلما متعصبا إلى حد في نشر الإسلام واستتباب الأمن والنظام في جميع أرجاء الإمبراطورية، حيث استعملت الصلات مع التجار المسلمين الذين كانوا قد انتقلوا إلى مدينة والاتا هربا من"سومانجورو". وفي سنة 1240 قام سندياتا بغزو"كومبي" وضمها إلى إمبراطوريته، وبذلك تمكن من القضاء نهائيا على آخر ذكريات إمبراطورية غانة، كما قضى تماما على المملكة قصيرة الأجل التي أقامتها قبائل الصوصو، وتؤكد الشواهد التاريخية أن الملك سانديانا كان حاكما متنورا كافح وناضل من أجل مصلحة شعبه وأقام نهضة اقتصادية تمثلت في نشر التجارة والصناعة، كما شجع شعبه على الزراعة واستنبات محاصيل جديدة، فأدخل زراعة القطن الذي أصبح دعامة أساسية في اقتصاديات الإمبراطورية(3)وبعد عام 1240م لم يقم سندياتا بمعارك حربية غير أن قواده الذين تدربوا على أساليب القتال وأتقنوها واصلوا عمليات الفتح والغزو حتى تخطوا حدود بلادهم باسمه وضموا بلاد ما رواء السنغال التي لم يسبق غزوها وواصلوا حتى نهر غامبيا وبلاد التكرور، وقد وضع سندياتا دستورا لمالي كان تحديدا لقواعد العرف والمحرمات التي لا يزال أثرها باق حتى الآن في تنظيم العلاقات بين العشائر المختلفة(4).

---

(1)-عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 272، 273.

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 182.

(3)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:67.

(4)-عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 274.

بعد هذه الروايات أصبحت مملكة مالي أكبر مملكة ظهرت في إفريقيا المدارية في العصور الوسطى، إذ شملت كل غربي إفريقيا المدارية من المحيط الأطلسي ومعظم حوض النيجر الأعلى والأوسط حتى الحدود الشمالية للغابة الاستوائية، وقد قدرت مساحة مملكة مالي الإسلامية أيامها بمساحة أوروبا كلها[1].

وفي سنة 1255م مات الملك سندياتا بطريقة فجائية غامضة، ولكنه ترك إمبراطورية قوية تعتبر تاريخيا الإمبراطورية الثانية من سلسلة الممالك والإمبراطوريات الكبرى في إفريقيا السوداء، وبوفاته أنتهى حكمه الذي دام حوالي ربع قرن[2]، وكما قلنا لا يعرف السبب الحقيقي لوفاته وهناك روايات شفوية أستقي منها تاريخ مالي تتضارب حول ذلك فالبعض يقول أنه مات مقتولا في إحدى الحفلات بسهم طائش وعن غير قصد، في حين أن البعض يقول أنه مات غرقا في مياه نهر سكراني في ظروف يكتنفها الغموض.وبعد وفاته توقف العمل بمبدأ أخلافه الحواش "الأخوة واحدا بعد الآخر) وتولى ابنه منسا ولي "علي" الحكم بعد ذلك[3].

(1)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 112.

(2)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:67.

(3)-عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 274.

الفصل الثاني

إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد:"منسى موسى"

1- ملوك مالي الذين سبقوا "منسى موسى"

أ- منسا ولي.

ب- خلفاء منسى علي.

ج- ساكورة واستيلاؤه على الحكم.

2- التعريف بالسلطان "منسى موسى"

أ- منسى موسى"نسبه وصفاته".

ب- توليه الحكم.

3- حدود مملكته وأقاليمها.

أ- حدود المملكة.

ب- فتح غاو(إمارة كوكو).

ج- أقاليم ملكه.

4- مجالات تطور إمبراطورية مالي في عهد" منسى موسى".

أ- تطور مملكة مالي سياسيا وعسكريا.

ب- تطور المملكة اقتصاديا.

ج- إداريا.

د- اجتماعيا وثقافيا.

1 ــ ملوك مالي الذين سبقوا "منسى موسى":

أصبحت إمبراطورية مالي مسيطرة على بطاح شاسعة في غرب إفريقيا؛ وفرضت حكمها على مساحة من الأرض، أكبر بكثير من المساحة التي كانت تحت سيطرة إمبراطورية غانا[1]، وبعد الأمن والرخاء الاقتصاديين الذي حققه"ماري جاطة"، سار أتباعه الذين جاءوا من بعده على نهجه متبعين سياسته الحكمية التي ترمي إلى التعاون مع زعماء القبائل التي تقع ضمن نفوذهم باستثناء صداقات ومصاهرات ومنحهم إدارة الأقاليم مقابل ولائهم لهم، ونذكر أبرز الملوك الذين حكموا مالي بعد"سانديانا كايتا"[2]:

أ- منسا ولي(1255م-1270م):

وهو ابن سانديانا البكر ويسميه العرب"علي" وهو الذي أدخل لقب"منسى"على ملوك مالي[3]، وعرف منسى ولي لدى أهالي مالي بالملك الأحمر، نظرا لأنه كان شديد البياض وربما يعود الأمر إلى أن أسرة كايتا قد جاءت من اليمن وهذا فيه نوع من الصحة، كما أن والده يكون قد تزوج من امرأة عربية وهو الأقرب إلى الحقيقة، وقد نهج الملك منسى ولي سياسة والده بأن اعتمد على قواد أبيه ومستشاريه وقد شدوا من أزره وساعدوه في حركة التوسع، فقد قام بأخذ بابنو كوماكيتا، وسيطر على كونكودوجو، وسانى نيانجا وسانجاران[4] كما أمن حدود بلاده الشمالية مع الصحراء الكبرى وبسط نفوذه على دولة"منغاي" الناشئة وأتخذ منها عددا من الرهائن لضمان خضوعها واستسلامها[5]، وكان محبا للسلام معروفا بالتقوى والصلاح وهذا ما زاد من انتشار الإسلام في مملكته[6]، وبعد أن ضاع صيته وأحكم سيطرته على البلاد قام برحلة إلى الأراضي المقدسة في عهد"الظاهر بيبرس"سلطان مصر المملوكي وكانت ترافقه في هذه الرحلة قافلة ضخمة

---

(1)- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:71.

(2)- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:53.

(3)- محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص:80.

(4)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:54.

(5) -Ch-Monteil, "Les Empires de Mali" ,P365

(6)-محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص:80.

على خط سيرها في الطريق الصحراوي،مارة بليبيا عبر"غات"و اتجهت نحو"مصر"و منها إلى"الحجاز"، واشتهرت هذه الرحلة بصداها البالغ لما حملته من ذهب وعبيد وخيرات إفريقيا، حيث تعتبر عملا من أعماله المهمة وهي التعريف بالمنطقة أكثر من أي شيء آخر، وكان أداء فريضة حجه سنة:**658هـ/1259م** وتوفي حوالي**1270م**[1].

ب- خلفاء منسى علي(1270م-1285م):

خلف منسى علي اثنان من إخوته هما ولي الثاني الذي حكم من عام:**1270 حتى 1274 م** و لم تتسم فترته بشيء من التطور[2]، وتولى بعده السلطة أخوه خليفة أو منسى خليفة وكان أحمق يغلب عليه الحمق، فيرمي الناس بالسهام فيقتلهم، فوثب به أهل مملكته فقتلوه[3]، ويقال أن اسمه "كاريفاKARIFA" وكان مختل العقل غريب الأطوار، ومازالت قبائل الماندي تحكي حكايات غريبة جدا عن هذا الملك وكيف كان يسلي نفسه بقذف السهام والرماح على الناس وهذا تم قتله، و يتوضح لدينا أن هذه الفترة اتسمت بالاضطراب[4]، ثم جاء بعده"أبو بكر" وهو حفيد سوندياتا ودام حكمه حتى عام**1285م**[5]،ويقول ابن خلدون:"هو سبط من أسباط ماري جاطة يسمى أبا بكر، وكان لابن ابنته فملكوه على سنن الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت ولم يقع لنا نسبه ولا نسب أبيه[6]، ويتبين لنا من هذه الأحداث أن هاته الفترة تميزت بالضعف والانشقاق ووهن الملوك، لهذا لا تتحدث المصادر عنها بالشيء الكثير، وتعتبرها فترة ضعف بين مرحلتي قوة.

---

(1)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:54.

(2)-سادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:96.

(3)- أبي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، 10ج، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج5، ص: 229.

(4)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:72.

(5)-محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص:81.

(6)-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6 ص: 266.

ج- ساكورة واستيلاؤه على الحكم (684هـ-700هـ/1285م-1300م)[1]:

وفي سياق ابن خلدون:"ثم ولي عليهم من بعده يعني أبي بكر، مولى من مواليهم تغلب على حكمهم وملكهم، اسمه"ساكورة"وقال الشيخ عثمان ضبطه بلسانهم أهل غانيه سيكرة، وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم"[2]، ويظهر من قول ابن خلدون أن ساكورة استولى على الحكم، حقا إن ساكورة أو سيكرة مولى من موالي الأسرة الحاكمة"إلا أنه من غير المجدي أن يستمر الباحثون في نعته بالمغتصب، لأن ذلك يمكن أن يحجب الأضواء عن أهمية الدور الذي قام به في تشييد الإمبراطورية[3]، فخروج ساكورة من دائرة وضعه الاجتماعي وانتزاع الحكم من أولئك الملوك الضعاف ذلك أن هذا الملك لم يكن من البيت الحاكم، فإنه قد استطاع انتزاع أمر البلاد على اثر انقلاب قتل فيه السلطان الشرعي، أضف إلى هذا فإن ساكورة قد خطى بشعبه خطوات ثابتة برهنت أن الذي يتولى أمر البلاد ويصل بها إلى مدارج العلا لا يشترط أن يكون من أبناء السادة والملوك[4].

إنما هو الإنسان المدبر ذو العقل الثاقب والتخطيط المحكم، وكانت أول أهدافه هي إخضاع المناطق المتمردة على مملكة مالي الإسلامية[5]، ويذكر المقريزي:'أنه تغلب على ملكهم ففتح بلاد كوكو واستضافها إلى ملكه فقوي سلطانه، وهابه أمم السودان، ودخل إليه التجار من بلاد المغرب وإفريقية[6]"وبذلك استطاع بسط سيطرته على حوض نهر النيجر حيث إمارة"سنغاي" وبذلك رسم الحدود القصوى لإمبراطورية مالي[7]، ويذكر ابن خلدون في هذا الصدد:"افتتح بلاد كوكو و أصارها إلى ملك مالي،وأتصل ملكهم من البحر المحيط

---

(1)-محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص:81.

(2)-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص: 267.

(3)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص:168.

(4)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:55.

(5)-نفسه،ص:56.

(6)- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر،ط1, 1420هـ-2000م،ص: 141.

(7)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص:185.

وغانة بالغرب إلى بلاد التكرور في الشرق، واعتز سلطانهم بذلك[1]، ويظهر لنا من روايات ابن خلدون والمقريزي أن ساكورة كان يريد تثبيت حكم إمبراطورية مالي وتوسيع نطاق ملكها والمظاهرة بحكمها، غير أن بعض المراجع لا تليه أهمية كبيرة وتعتبره انتزع الحكم من أهله، وهذا رأي محاطئ بالنظر إلى المعطيات التي لدينا وضعف حكام مالي في هذه الفترة، ومما يحسب له أنه فيعهد أبي بكر قاد جيشا عند"تكدا" وحاصرها وسقطت في يده، واستنادا إلى ابن خلدون فإن أهمية"تكدا"لمالي ترجع لأنها تقع على طريق الحج، كما كانت مدينة تجارية هامة، ويحدد ابن خلدون موقع"تكدا"على مسيرة عشرين يوما من"وارقلة" نحو الغرب فهي ملتقى القادمين من بلاد السودان قاصدين الحج[2]، ومن مهامه الناجحة رحلته إلى الأراضي المقدسة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، التي سلك فيها طريق أكسوم في الحبشة وذلك بان توجه إلى السودان الشرقي عن طريق البحر الأحمر، وفي أثناء عودته من الحجاز بوصوله لساحل تاجورة بالصومال هجمت عليه قبائل الدناكل وقتلته عام**700هـ/1300م**،وبذلك انتهت فترة حكمه التي دامت زهاء خمس عشرة سنة من الكفاح المتواصل[3].

لقد سيطرت هذه الشخصيات الثلاث (ماري جاطة، منساولي و ساكورة)، على القرن السابع الهجري الثالث عشر للميلاد من تاريخ إمبراطورية مالي، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس الدولة وتقعيد أمورها ومد حدودها القصوى، وبذلك مهدوا الطريق لمنعطف جديد في تاريخ الإمبراطورية[4].

---

(1)-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص: 267.

(2)-سادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:97.

(3)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:56.

(4)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص:185.

2 ـــالتعريف بالسلطان "منسى موسى":

قبل الدخول في معترك الحديث عن السلطان"منسى موسى"وجب علينا الوقوف عند نقطة مهمة جدا وهي كيف اعتلى الحكم؟ وبالأخص ما هي الظروف التي سبقت فترة حكمه؟ ففي تصريح له عند دخوله القاهرة لأدائه رحلة الحج، قال"منسى موسى"بأن سلفه قد توفي في بعثة بحرية لأنه أبى أن يصدق بأنه يتعذر بلوغ نهاية البحر المحيط والمقصود المحيط الأطلسي، الذي كان هو الحدود الغربية للإمبراطورية، فصمم هذا الملك على بلوغ هدفه حيث جهز بعثة بحرية مكونة من مائتي سفينة مزودة بالمال والرجال ومن بينهم علماء تنبكتو الذين جاء بعضهم من الأندلس والمغرب واستقروا بها، وعندما لم تعد سفن هذه البعثة تولى الملك بنفسه قيادة بعثة بحرية أكبر منها مجهزة، ضمت ألفي سفينة ورحل ولكنه لم يعد[1]، وهذه الرواية موجودة في بعض المصادر العربية والقلقشندي واحد منها[2].

إن بعض الكتاب الذين أرخوا لمدينة تمبكتو وكتبوا عن علمائها وعن السودان الغربي قد أثاروا مشكلة اكتشاف شعب المالينكا للقارة الأمريكية، وبالتالي يكون هؤلاء قد بلغوا السواحل الأمريكية قبل كولومبس بقرنين من الزمان وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين دراسات عن آثار ولقيات أثرية في أمريكا تتصل بإمبراطورية مالي ومدينة تمبكتو[3].

وهناك مقالات عديدة نشرت في هذا الصدد وكان عنوانها الذين قدموا قبل كولومبس[4]، ومن هنا يتبادر إلى الأذهان ألا يمكن أن تخصص دراسات أثرية في هذا المجال، ولربما كان تواجد الماليين في القارة الأمريكية ووصولهم إليها قبل الأوروبيين بفترة طويلة، وأن أبا بكر الثاني كان له الفضل الكبير في تواجد الشعوب المالينكية في القارة الأمريكية.

---

(1)- رفعت سيد أحمد، **من تمبكتو إلى مكة**، منتدى القرآن الكريم، حقوق الطبع والنشر محفوظة، 2004-2015.

(2)- القلقشندي، المصدر السابق ج 5ص: 295.

(3)-رفعت سيد أحمد، المقال السابق.

(4)-Ivan Sertima Ivan , **They came before Columbus** , New York, Rondon House, 1976, P :49.

ويؤكد إيفان سرتيما وهو باحث إفريقي أمريكي تقدم بافتراض مفاده أن السود قد يكونون أول من ركب البحر باتجاه أمريكا، وقد تناول في كتابه الذي ألفه سنة1976م بالتدقيق المدقق حضارة المكسيك وأمريكا الوسطى لكي يستخلص وجود عناصر منداتغية في هذه الثقافات وهذه النظرية جذابة جدا[1].

أ- منسى موسى"نسبه وصفاته":

اختلف المؤرخون في تسميته فمنهم من يطلق عليه"موسى بن أبي بكر"[2]، وهناك من أضاف"موسى بن أبي بكر سالم التكروري"[3]، أما صاحب مرآة الجنان فيسميه"موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود"[4]وصاحب العبر يطلق عليه"منسى موسى بن أبي بكر"ويتفق معه القلقشندي في ذلك[5]،ومنهم من يسميه"كنكن موسى"[6].

وانطلاقا من أقوال هؤلاء المؤرخين يمكننا أن نفهم الاختلاف في اسم هذا الملك وهو ما اشتهر به الملك "منسى موسى"وقد أصابت المصادر العربية في اسم أبيه، ومنسى كما ذكرنا سابقا في لغة الماندي والزنج تعني ملك أو سلطان، وموسى هو اسمه، أما لقبه كنكن أو كنكه موسى فهو اسم أمه وهو ما انلوح عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن إلى أمه، نظرا لان الأم في تلك الفترة تتزوج أكثر من رجل، ولذلك

---

(1)تيان،مالي والتوسع الثاني للماندينغ ،إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، **موسوعة تاريخ افريقيا العام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1977،ج4،ص: 163.

(2-1)- الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، 21ج، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، 1419هـ-1998م، ج18، ص:240.

(2-2)-صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **أعيان العصور وأعوان النصر**، 6ج، تح: نبيل أبو عشة وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1418هـ-1998م، ج5، ص:477.

(3-1)-شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 6ج،**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ج4، ص:383

(3-2)- محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**،2ج،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،ج2،ص:314.

(4)- عبد الله بن اسعد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**،4ج،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1 ،1417هـ-1997م، ج4، ص:204.

(5-1)-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص: 267.

(5-2)-القلقشندي، المصدر السابق،ج5،ص: 294.

(6)- عبد الرحمان بن عامر السعدي، **تاريخ السودان**، المدرسة الباريسية للألسنة الشرقية، باريس، 1981، ص:07.

ينسب الأبناء إليها، ومنهم من يرى أن كنكة موسى تعني حاكم موسى بمعنى"كي"حاكم مل وما أوردنا من أن كنكة اسم أم منسى موسى هو أقرب للحقيقة من غيره[1].

واختلفت الآراء حول القرابة بين سوندياتا ومنسى موسى، فهو ابن أخت سندياتا حسب بعض المؤرخين وابن أحد أخوة سندياتا كما ذكر بعضه الآخر، وحفيد سوندياتا حسب الموسوعة العالمية العربية[2] وقد توالى اسمه فيقال له الملك العظيم منسا كانكان موسى الذي عرف واشتهر باسم موسى الأسود، وكان حقه في العرش مستندا إلى اعتباره حفيدا لإحدى شقيقات جده الأكبر الملك سوندياتا[3].

ولعل ابن خلدون أصاب في نسبه وهو الراجح عندنا من أن الملك انتقل من ولد السلطان ماري جاطة إلى ولد أخيه أبي بكر فولي عليهم منسى موسى بن أبي بكر إذن فمنسى موسى من أسرة كايتا وهذا ما يفسر شرعية حكمه[4].

أما عن صفاته فيقول صاحب مسالك الأبصار أن هذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادا وأكثرهم عسكرا وأشدهم بأسا وأعظمهم مالا وأحسنهم حالا واقهرهم للأعداء وأقدرهم على إضافة النعماء[5]،وهذا وصف دقيق يشتمل على خصال عديدة من بسطة ونفوذ، فالسلطان كنكن موسى كان كان صالحا عادلا لم يكن فيهم مثله في الصلاح والعدل[6]، ملك عظيم له في العدل اخبار تؤثر[7]، وكان جميل

(1)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:57.

(2)- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:81.

(3)-حوان جوزيف، المرجع السابق، ص:72.

(4)-مادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:97.

(5)- شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،27ج، تح:كامل سليمان الجبوري،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج4، ص: 49.

(6)- عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص:07.

(7)-ابن خلدون، المصدر السابق: ج6،ص: 267.

جميل الصورة له مملكة متسعة ميسرة ثلاث سنين وتحت يده أربع وعشرون ملكا[1]. فهو مليح الشكل حسن الوجه

له حب للعلماء[2]، وكان فطنا عاقلا راغبا في العلم[3]. محب عفيف دين كثير المروءة جد[4]، معظم بين أصحابه[5].

وانطلاقا من هذا الكم الهائل فأوصاف هذا الملك وما ذكر عنه المؤرخون أقل ما يقال عن منسى موسى أنه تمتع بصفات الملوك والأباطرة فهو أعظم سلاطين وملوك السودان الغربي في فترة العصور الوسطى،أما عند قومه فلم يكن موسى الأسود عند قبائل المانديك ملكا يحكم الناس فحسب وإنما كان من أولياء الله، وهي مكانة دينية رفيعة دخلت إلى قلوب شعب المانديك، وهذا ما خوله لحكم أكبر إمبراطورية سوداء في فترة العصور الوسطى[6]،وما يحسب له أيضا أنه في عهده دخل الإسلام البلاط الملكي وأصبح دين الدولة الرسمي، فصبغت بلاده منذ ذلك الحين بالطابع الإسلامي، وكان منسى موسى ملما باللغة العربية مهتم بالتعليم الإسلامي[7]، وقد نالت صفاته الجسدية قسطا من هذه النعوت فمنسى موسى شاب أسمر البشرة وسيم ممتلئ قوة طويل القامة[8].

ب- توليه الحكم:

(1)-ابن كثير، المصدر السابق، ج18، ص: 240.

(2)- الصفدي، المصدر السابق، ج5، ص: 477.

(3)-الحافظ الذهبي،ذيول العبر في خبر من غبر،4ج،تح: محمد سعيد زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت, ط1،1405-1985م، ج4،ص:72.

(4)- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص: 383.

(5)- الشوكاني، المصدر السابق، ج2، ص: 314.

(6)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:72.

(7)-محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريرة: المرجع السابق، ص:82.

(8)-سادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:99.

يعتبر عهد منسى موسى المرحلة التي بلغت فيها إمبراطورية مالي قمة ازدهارها وأوج عظمتها، وقد ظلت أصداء هذه الفترة الزاهية عالقة بأذهان السودانيين وهذا ما تترجمه رواية"محمود كعت"[1]:"وكنا نسمع من أعوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة ماخلا السلطان الأعظم سلطان بغداد وسلطان مصر وسلطان برن وسلطان مل[2]، ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن إمبراطورية مالي في هذا العصر عاشت أوج عظمتها وازدهارها وهذا ما تؤكده رواية محمود كعت، وسيكون من البديهي أن السلطان منسى موسى لعب دورا هاما ومحوريا في تطوير مملكتة وتنظيم شؤون دولته.

أما عن فترة توليه الحكم فقد اختلف المؤرخون في ضبطها بين سنة **1307و1312**الميلادي وسنقوم بذكر بعضها:

نبدأ بسنة:1307م:تولى العرش كانكا موسى أشهر ملوك السودانالغربي وأخذ يبسط سلطانه على المناطق المجاورة[3]،فعصر منسى كانكان موسى عصر الانتقال فمن هذا التاريخ أصبحت المملكة أعظم شأن من الازدهار و التحضر[4]، فالخلافة انتقلت من أولاد سندياتا إلى أولاد أخيه أبي بكر وأعتلى موسى أون أولاد أبي أبي بكر العرش سنة**1307**م فهو القوي المنسى موسى[5].

ننتقل إلى سنة:1312م: عهد منسى موسى(**1312-1337م**) الذي جاء بعد أبو بكر الثاني للحكم[6]. فهؤلاء الملوك من أسرة كايتا وكنكن موسى الذي ملك من(712هـ-737هـ/ 1312-1337م)بلغت الدولة في عهده قوة وثروة وحضارة[7]،وقد اتبع ملك مالي منسى موسى في الفترة المحصورة(712هـ-737هـ/

(1)- **محمود كعت:** بن الحاج المتوكل كعت الكرميني التنبكتي، صاحب كتاب: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس.**

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص:186.

(3)- ياسيل دافيدسون، المرجع السابق، ص: 45.

(4)-جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:72.

(5)- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص:276.

(6)-محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:82.

(7)- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص:112.

737هـ/ 1312-1337م) تطوير البلاد ومد نفوذها وإيصال الإسلام إلى المناطق التي تقع تحت سيطرة الوثنيين[1].

وعهد منسى موسى(**712هـ-737هـ/ 1312-1337م**)هو عهد الازدهار فقد كان من الطبيعي مع انتهاء مرحلة التمهيد العسكري التي اختتمت مع ساكورة أن يلتفت حكام مالي لتنظيم شؤون إمبراطوريتهم السياسية والإدارية[2].

وبين هاتين الفرضيتين يمكننا أن نرجح قول الدكتور الهادي المبروك الدالي الذي برر هذا الاختلاف بأن المؤرخين اختلط عليهم الأمر حول تولي الملك منسى موسى لأمر البلاد، ولكن اقرب الفرضيات حسب قوله أنه بدأ في تسيير دواليب الحكم بين عامي(**707هـ-733هـ/ 1312-1337م**)لأنه وجد البلاد في حالة من عدم الاستقرار الأمنيالذي جره مقتل ساكورة وتولي ملوك ضعاف لم تسعفهم الظروف لتسيير دفة الحكم وخلق نوع من الفوضى وتدهور في الاقتصاد بكساد التجارة وتمرد بعض أمراء المقاطعات بالانفصال، وبذلك وجه جهوده منذ تقلده أمور الحكم لصيانة النظام والأمن وتوطيد علاقاته مع جيرانه في الشمال الإفريقي[3].

3 ـ حدود مملكته وأقاليمها:

أ- حدود المملكة:

انتهت الباحثة"ماديناليMadina Ly " بعد دراسة دقيقة أن كل المنطقة الواقعة بين نهري السنغال وغامبيا كانت خاضعة لمالي منذ عهد ساكورة[4]، وبالنسبة للحدود الشمالية فقد كان ابن بطوطة واضحا عندما اعتبر يولاتن(ولاتة) آخر عمل بلاد مالي في اتجاه الشمال، وليس في كلامه أو كلام غيره على ما يدلنا

---

5). دنيس يوليم،المرجع السابق،ص52.

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص:187.

(3)- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 56، 57.

(4)Madina Ly "**L'Empire de Mali**, à-t-ilsurveau jusqu'à la fin du XV le siécle" B.IFAN, N°02, 1976, P :239.

أن سلطة مالي تجاوزت تلك الحدود، وفي شرق ولاتة يظهر أن نفوذ مالي امتد بعيدا في أعماق الصحراء، حيث كان قريبا من وارکلا والأمر لا يبدو للاستغراب إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم وجود أية قوة سياسية فيما بين مالي و وارکلا وبالنظر إلى تحول المحاور التجارية الصحراوية نحو مصر خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي ومرورها عبر وارکلا، فقد كان طبيعيا أن يتعمق نفوذ مالي في الصحراء القريبة من وارکلا بهدف ضمان سلامة الخطوط التجارية.

أما الحدود الجنوبية فتطرح مشكلا عويصا، ذلك أن غموض الإشارات المصدرية وتعميمها يحول دون تبيين مداها، ومهما يكن من هذا الأمر يمكننا القول أن مالي أو نيابي العاصمة،شكلت آخر أقاليم الإمبراطورية من ناحية الجنوب، وبذلك فقد كانت مناجم الذهب خاضعة لسيطرتها في المقابل لم تلامس إمبراطورية مالي قط مقدمة الغابة الاستوائية، وما يلمح إليه عبد الرحمان السعدي من أن مدينة جني كانت خارجة عن سلطة مالي يبدو أمرا مستبعدا جدا والظاهر أن المدينة قد قاومت سلطة مالي لفترة طويلة، الشيء الذي جعل السلاطين يشنون عليها حملات تأديبية أرهقت خزينة الدولة، وفي عهد منسى موسى انتهج سياسة تنم عن القسوة والاحتقار ، وعلاوة على ما تقدم لم يكن بالإمكان أن تبقى مدينة جني خارجة عن السلطة المركزية لأن حدود مالي تحاصرها وتحيط بها من جميع الجهات[1].

ومن هنا يمكننا القول أن في عهد المنسى موسى أصبحت إمبراطورية مالي واسعة شاسعة مترامية الأطراف، تمتد من غاو في الشرق إلى المحيط الأطلسي في الغرب مرورا بمدينة تمبكتو وجني ومنطقة فوتا جالون، وفي الشمال امتدت مالي داخل الصحراء مستولية على مناجم الملح والنحاس وصولا إلى مدينة ولاتة، أما في الجنوب فلامست مالي حدود نيجيريا وما يسمى اليوم بدولة بينين[2].

ب- فتح غاو(إمارة كوكو):

(1)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 183، 184.

(2)-محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريمة، المرجع السابق، ص:81.

هناك روايات عديدة لفتح هذه الإمارة من طرف الماليين حيث يذكر ابن خلدون أن غزو كوكو قد حدث في أيام المنسى موسى حيث يقول الحاج يونس مترجم المراسلات التكرورية في القاهرة إن الذي فتح كوكو هو سقمنجة من قواد منسى موسى، لكن هناك روايتين عند ابن خلدون نفسه وهي مختلفة عن الرواية الأولى، ذلك أن غزو كوكو ينسب إلى ماري جاطة، والثانية تنسب لغزو سيكرة أو ساكورة، الذي تغلب على الأمم المجاورة وفتح بلاد كوكو وأصارها في مملكة مالي[1]، ورغم ذلك فإن مالي طوقت توابعها من التكرور والأقاليم الغربية الأخرى، وكان خطها الأساسي في التوسع يمتد على طول النيجر إلى الشرق،وفي حوالي 1300م بلغت مالي وقوتها وتأثيرها أمدا بعيدا حتى وصلت إلى غاو وأدى ذلك إلى أن هيمنة على صيادي وبحارة السنغاي الذين مدوا سيطرتهم وأنشطتهم إلى مجري النيجر[2].

وبالرجوع إلى الرأي الأول فإن أحد قواد منسى موسى وصل إلى غاو وأخضعها لسلطانه، ومنهم الصحراويون الرحل الذين كانوا يثيرون الشغب، وما أيده وأعضده مهارة قائد محنك اسمه منديان[3]، الذي لم تقتصر جهوده على توطيد سلطة العمل في سهل النيجر بل إلى ما وراء غاو وتوطيد هذه السلطة في جميع أنحاء السهل حيث انتزع منهم بعض المواقع الهامة في النوبة والتمرد[4]

والصواب في هذا الأمر أن السنغانيين كانوا كثيري التمرد، ففي عهد ماري جاطة بسط سلطانه عليهم لكنهم تمردوا عليه، وأعاد ساكورة فتح كوكو ولكن بعد اغتياله تمردوا أيضا، أما في عهد منسى موسى فقد استطاع أن يسيطر على مقاليد الأمور مجتمعة، بأن أخذا زعيما السنغاي اللذان كانا يشكلان نوعا من الخطورة رهائن عنده، وهما:"عليكلن"و"سلمن نار" وهذه العادة عند ملوك السودان بأنهم يأخذون أبناء خصومهم ويربونهم في قصورهم، فمنهم من يرجع بعد مدة ومنهم من يبقي في خدمة الملك إلى أن

(1)-سادهوبانيكار، المرجع السابق، ص:110.

(2)- ف.جي.دي، المصدر السابق، ص: 55.

(3)-حصية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص:276.

(4)- نياتي، المرجع السابق، ص:160.

يفارق الحياة، وبذلك يضمن ولاء سنغاي لملكه[1].

ج- أقاليم ملكه:

اعلم أن هذه المملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط، قاعدة الملك بها مدينة"بيتي"، وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند العامة بملك التكرور ولو سمع هذا أنف منه لأن التكرور هو إقليم من أقاليم مملكته والأحب إليه أن يقال له"صاحب مالي" لأنه الإقليم الأكبر وبه اشتهر، أما أقاليمه فهي:**غانة، زافون،ترنكا، تكرور، سنغانة، بانبقوا، زرنطابنا، بيترا، دومورا، زاغا، كابرا، براغوري، كوكو وإقليم مالي** الذي به قاعدة الملك"بيتي"والاسم المطلق على كل هذه الأقاليم هو مالي، فهي نوات المدن والقرى والأعمال، وتشمل أربعة عشر إقليما[2].

وقد استفرد العمري بهذه الرواية وذكر لنا هذه الأقاليم والتي تكون إمبراطورية مالي وكانت تحت حكم الملك منسى موسى لكن لم يفصل لنا هذه الأقاليم وحدودها وموقعها، أما ابن خلدون فيذكر أنها تشتمل على خمسة أقاليم كل إقليم منها مملكة بذاتها[3].

- الإقليم الأول: مالي:

وهو إقليم واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هذه المملكة واقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو، فصوصو تحده من المغرب وكوكو من الشرق، وقاعدة ملكه كما ذكرنا مدينة"بيتي"، ويتميز إقليم مالي بالامتداد والطول والمباني المتفرقة، ومعظم أبنيته من الطين وسقوفهم بالخشب والقصب، أما أراضيها فهي

(1)-الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 59.

(2)- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص:50

(3)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص:267.

عبارة عن رمال ولا يحيط بها سور، إذ أنها في الصحراء والوصول إليها صعب، ويمر بها نهر ويذكر أنه يجف أحيانا وبها كثير من قصور الملك[1].

– الإقليم الثاني: صوصو:

لم تفدنا المصادر بالشيء الكثير عن هذا الإقليم غير أنه كان تابعا لمملكة مالي في عهد منسى موسى، ذلك أن الملك سندياتا كايتا سيطر على قبائل الصوصو وملكهم وانتزع الحكم منهم وضم إقليمهم[2]، وهذا الإقليم يقع غرب مالي.

– الإقليم الثالث: بلاد غانة:

تقع هذه البلاد غرب الصوصوالمقدم ذكره وهي تجاور البحر المحيط، ويقول ابن سعيد[3]:"حيث الطول تسع وعشرون درجة،والعرض عشر درج، فهي محل سلطان بلاد غانة، وقد خضعت لحكم مالي في عهد ماري جاطة، ولغانة كما يقال نيل شقيق لنيل مصر، وهو يصبه في البحر المحيط وتعتبر بلاد غانة نقطة الاتصال بين السودان والمغرب الأقصى، حيث فيها أسواق التجارة الكثيرة[4].

– الإقليم الرابع: بلاد كوكو:

وهي شرقي إقليم مالي المقدم ذكره، وملكها قائم بنفسه، له حشم وقواد وأجناد دوزي كامل، وقد خضعت لسلطة المالين ويذكر المهلبي أن بين كوكو وغانة مسيرة شهر، وهي مدينة كبيرة[5]على ضفة نهر

(1)– القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 283.

(2)–الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 59.

(3)– **ابن سعيد** نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنيس المعروف بابن سعيد المغربي: **صاحب المغرب في حلى المغرب** (685هـ-610هـ/1214م-1286م).

(4)– القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:284.

(5)–القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:285.

يخرج من ناحية الشمال ثم يغوص في الصحراء كما يغرض الفرات في بطائح العراق[1] وكركو شرق النهر وسكانها معظمهم من السودان.

– الإقليم الخامس: بلاد تكرور:

وهذا الإقليم هو آخر إقليم لمملكة مالي وحدوده من جهة الغرب مملكة البرنو، وقد عرفت هذه المملكة على اسم هذا الإقليم عند العامة، ومدينته على نهر وفي ضفافه وهي أكبر من مدينة سلا التي في بلاد المغرب، وبها حركة تجارية كثيرة وتشتهر بتجارة الصوف[2].

4_مجالات تطور إمبراطورية مالي في عهد منسى موسى:

أ– تطور مملكة مالي سياسيا وعسكريا:

اعتلى الملك منسى موسى عرش مالي وبادر بدعم ما تم إحرازه وكفل احترام السلطة المركزية لدولته[3]وإذا نظرنا إلى القاعدة العامة في وراثة العرش في مالي من أن تؤول الابن الأكبر للسلطان، أراحل أمر مهم هذا وليس من الضروري أن تسير سلسلة هؤلاء الأبناء رأسيا بانتظام فقد يتولى أحد الإخوة واحدا بعد الآخر من أبناء المنسى المتوفي مع عدم الإخلال بقاعدة السن، وقد يتولى أبناء الأخت أو أبناء البنت وبالنظر إلى تسيير دواليب الحكم فالحكومة المركزية بالعاصمة التي يرأسها السلطان، والتي يساعده فيها مستشارون وموظفون أهمهم: نائب السلطان ويكون والي العاصمة[4]،ويعرف هذا النائب باسم"فنجا"ويقوم مقام السلطان إذا غاب ويساعده في تصريف الشؤون، وهناك الوزير ويلقب باسم"صندكي" ويعتبر كذلك رئيس العبيد،

(1)– هذا النهر هو نهر النيجر حاليا.

(2)–القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:286.

(3)–نبان، المرجع السابق، ص: 160.

(4)– محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:92.

وللصندكي أهمية كبيرة في حكومة مالي المركزية فقد يحدث أن ينفرد بالأمر والنهي ويستبد بجميع الأمور دون المنسى، وخاصة إذا كان المنسى ضعيفا أو صغير السن، وهناك طبقة في هذه السلطة هي طبقة العبيد المحررين ويكونون قادة للجيوش وحكاما للولايات وجباة للضرائب وكبار موظفين وكان لهم دور كبير في مملكة مالي[1]، وهناك"الفاريا" الذي تتمثل مهمته في حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية ويساعده كاتب ينفذ أوامره، وهذا الكاتب غالبا ما يكون فقيها عارفا بشؤون الإنشاء وقواعد الشريعة الإسلامية، ونجد أيضا المحاسب أو ما يعرف في الاصطلاح السوداني"بالمانشنجو" وهو المشرف على ضمان السير العادي للأمور التجارية.

وكانت المدن الكبيرة مثل: نياني العاصمة وولاتة وغانة وكوكو، كان يتوفر فيها القضاة والفقهاء والخطباء، وكان القضاة يشرفون على الفصل في النزاعات التي تنشأ بين الناس ويسهرون على تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية سواء في الأمور الدينية والدنيوية، أما أصحاب الخطط الدينية فيتمتعون بتقدير كبير واحترام عميق سواء من طرف المجتمع السوداني أو السلطة الحاكمة مما يترجم تعلق أهل مالي بالإسلام وتطلع حكامهم لإعطاء دولتهم صبغة إسلامية محضة[2].

ويمكن تلخيص التطور السياسي في عهد منسى موسى أن مالي بلغت أوج عظمتها وقوتها خاصة عندما امتد نفوذها السياسي إلى ما وراء جاو باتجاه حدود الهوسا، وبقدوم المانديي وتجارهم إلى أرض الهوسا واستوطانهم فيها في كل من الشمال الشرقي والغربي من الصحراء، وفي الحقيقة كانت منافذ إمبراطورية مالي تقترب من شمال المدن التابعة لها في(ولاتاWalata)و(التاكيدTakida)،والاقتراب أكثر من المراكز المهمة لقوافل الطوارق،وفيما بعد أتضح أهمية قربها من مناجم النحاس والتي كانت تنتج منها كمية كبيرة[3].أما في المجال العسكري فقد وصف لنا العمري عساكرهم بالتفصيل حيث يقول:"أن مقدار عسكرهم مائة ألف عشرة

---

(1)–نفس، ص:93.

(2)–أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 190.

(3)–في.جي.دي، المرجع السابق، ص: 55.

آلاف فارس وعندهم الجمال والمراكب وللأمراء والجند إقطاعات وإنعامات من أكابرهم في كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب ويعطيهم الخيل والقماش[1].وهذا الجيش قادر على حماية الإمبراطورية وحدودها وفرض هيمنة الدولة، وكان السلطان قادر على استنفاره في أي وقت وكان لهذا الجيش قائدان واحد منهما صاحب اليمين يسمى:"سنقر" والآخر صاحب الشمال يسمى:"فرن سرا" وتحت كل واحد منها كذا وكذا من القياد والجيش[2].والقوة العاملة في هذا الجيش ثابتة وكان المنسى قائده الأعلى وكثيرا ما كان ينيب عنه قائد آخر، ولمالي جيشان جيش الشمال وجيش الجنوب، وقد درب ونظم كل منهما أحسن تدريب وتنظيم، وكان الفرسان عمود القوة الفعالة في الجيش، وهذا الجيش مقسم إلى فرق على كل فرقة ضابط، ويعرف كبار ضباط الجيش أو الأمراء في مالي باسم:"الفرارية"ويقوم كل منهم على طائفة من الجنود المشاة والفرسان، وجرت العادة أن يحضر هؤلاء الفرارية بجنودهم في المواكب السلطانية، أما أسلحة الجيش فكانت السيوف والحراب الطويلة و القصيرة والأقواس والنشاب والتروس[3]، وفرسانهم يركبون السروج العربية ويبدؤون بالركوب بالرجل اليمنى خلاف الناس، أما شعار هذا الجيش فقد كان اللون الأصفر في أرض حمراء، وتنشر الأعلام وهي ألوية كبار جدا[4].

وبغض النظر عن أهمية هذه القوة العسكرية في فرض النظام وترسيخ هيبة السلطان،فإن الأمن الذي كان يعم البلاد وينعم به العباد أيام الرخاء مدين في جزء كبير منه للسياسة العادلة التي اتبعها حكام مالي، يقول ابن خلدون عن منسى موسى:"كان رجلا صالحا وملكا عظيما، له في العدل أخبار تؤثر عنه[5]،ومما يوضح هذا فالأماكن النائية مثلا لا يخاف المسافر فيها من تلك البلد ولا المقيم فيها ولا القادم إليها من السرقة أو

(1)- العمري، المصدر السابق، ج4، ص:53.

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 191.

(3)- محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرة، المرجع السابق، ص:94.

(4)- العمري، المصدر السابق، ج4، ص:54.

(5)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 191.

الإجرام[1].أما البيض المستقرون في مالي لا يخافون على أموالهم وهم في مأمن من الاغتصاب والنهب، فحرص سلاطين مالي على السلوك العادل في حكم رعيتهم يبرز إلى حد بعيد حالة الأمن والاستقرار التي شملت جميع أنحاء الإمبراطورية، وقد كان ابن بطوطة شاهدا حيا على هذه الوضعية التي أثارت انتباهه أثناء سفره من ولاتة إلى عاصمة المملكة فكتب يقول:"ولما عزمت على السفر إلى مالي العاصمة وبينها وبين يولاتن مسيرة أربع وعشرين يوما للمجد، اكتريت دليلا من المسوفة، إذ لا حاجة للسفر في رفقة أمن من تلك الطريق وخرجت في ثلاثة من أصحابي"[2].

ب- تطور المملكة اقتصاديا:

-التجارة:

إن الأرباح والأموال الطائلة التي غنمتها مالي جاءت عن طريق تحكمها في طرق القوافل الرئيسية نتيجة ترامي أطرافها[3]كما أن وصول التجار الماليين لأسواق"ونجرا" وممنحات الصحراء هو سلوك لم نعهده منذ القرن الخامس الهجري، الرابع عشر ميلادي وهو يدل على تطور المبادلة التجارية لدى"ونجرا"، ولم يكن ليأتي لهم ذلك لولا قدرتهم على منافسة تجار الصحراء القادمين من بلاد المغرب ومصر، ويعتقد "دوفيسDouffise" أن وصول تجار مالي لمملحة تغازة جعل الإمبراطورية تتخلص من الضغط الذي يمارسه البربر خاصة مسوفة باحتكارهم تجارة الملح مع بلاد السودان، وهذا ما يفسر انخفاض ثمن الملح خلال القرن الرابع عشر في أسواق مالي، ذلك أن ثمن حمولة الجمل(150كلغ) أصبحت لا تتعدى عشرة مثاقيل في ولاتة، بينما كان ثمنها في عهد ابن دوقل يصل إلى ألف غرام من الذهب[4]، أما عن أشهر الطرق التجارية فهم طريق مصر الجنوبي عند أسوان، الذي كان يمتد إلى مالي وسجلماسة مارا بـــ"دنقلة"ثم"يوفي" ومن المدن الكبيرة

(1)- محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:95.
(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 191.
(3)- محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:95.
(4)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 192.

وتطلع الملوخية البرية[1]، أما عن الحيوانات فكان أشهرها الخيول يأتي بعدها البغال والحمير والبقر والغنم والماعز والجمال وهناك حيوانات الغابة مثل: الفيلة والأسود والنمور والتماسيح وحيوان اسمه:اللمط[2]، ويوجد خيل عندهم يقال له:الأكاديش، والبغال كلها صغار المقادير، والحمر ليس يوجد منها إلا ذميم الخلق، وعندهم الجواميس يحملون على صيدها والأغنام والماعز، وتلد الواحدة من المعز من واحد إلى سبعة وثمانية، وتماسيحها كبيرة جدا طول الواحدة منها عشرة أذرع وأزيد[3].

إن تمتع مالي بأراض فلاحية خصبة وثروات معدنية على غاية الأهمية في المبادلات العالمية آنذاك مثل الذهب والنحاس بالإضافة إلى تمتعها بفئات تجارية نشيطه ومراكز تجارية تنعم بالأمن والاستقرار مثل ولاتة وجنى ونياني العاصمة، كل هذه المعطيات جعلت إمبراطورية مالي تعيش فترة من الرخاء والازدهار المادي قل نظيرها في تاريخ بلاد السودان الوسيط[4].

ج-الإدارة في مملكة مالي وتنظيماتها:

لقد نجحت حكومة مالي في إدارة شؤونها وتنظيم دولتها المتسعة الأرجاء، أما التأثير الشرقي الإسلامي في مالي فهو واضح من خلال المظاهر السلطانية والمواكب والحفلات. ودولة مالي في الأصل هي إقليم من أقاليم كانغابا ومن الولايات أو الممالك التابعة لها، وكان عددها أربعة عشر، وكان يطلق على الوحدة الإدارية في تنظيم هذه الدولة المترامية الأطراف"دوغوDugu" أي القرية وهذا التنظيم من تقاليد الماندينغ القديمة، ثم تطورت لتؤدي معنى المدينة، ومجموعة القرى وضواحيها تعرف باسم:"كوفوKofu" ومعناها الإقليم أو المقاطعة، ومجموعة"الكافوات"يكون ما يعرف باسم"ديامانا Diamana"أي الولاية أو المملكة، بل أن لقب منسى كان يطلق أصلا عند الماندينغ على حكام هذه الولايات، وكذلك نعت بلقب المنسى رؤساء القرى

(1)- العمري: المصدر السابق، ج4، ص:50.
(2)- محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:95.
(3)- العمري، المصدر السابق، ج4، ص:51.
(4)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 193.

والمؤسسون لها وهو لقب قديم يرجع للعهد الوثني، ويطلق على حاكم الولاية، وكان لقب أعلى منه وهو "كوي Koi " ولكن حل محله المنسى.

أما نظام القضاء فكما ذكرنا كان دقيقا ومحل عناية كبيرة من السلطان نفسه ويكاد يكون منقولا عن المشرق الإسلامي ولاسيما مصر، وكان القاضي الأعلى يقيم في العاصمة ويعتبر من مستشاري السلطان.

ج- مملكة مالي في المجال الاجتماعي والثقافي:

-المجال الاجتماعي:

لقد كان لمالي عادات وتقاليد كثيرة ومختلفة منها ما هو أصلي أي كان قبل الإسلام ولازال، ومنها ما هو شرقي إسلامي نقل إلى مالي نتيجة الاتصال التجاري والثقافي مع العالم الإسلامي، ومنها ما يتعلق بأمور السلطة من شعار ومواكب ووسائل تسلية[1].

إن العمري وصف لنا جوانب من الحياة الاجتماعية للماليين في عهد منسى موسى فيذكر أن مجلس السلطان كبير يسمى:"بنبى" ويكون قدره عظيم متسع وفي مجلسه أنياب فيلة في جميع جوانبه الناب إلى الناب، أما عن ملبسه وحواشيه فيلبس سروالا كبيرا مفصلا لا يلبس مثله أحد، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكا وأمراؤه جلوس حوله يمينا ويسارا، وأعيان من فرسان عسكره، وهناك سفير بينه وبين الناس يسمى الشاعر، وهناك أناس يدقون الطبول وله فَرَسَانِ يركبهما متى شاء.

أما العامة فيلبسون عمائم تحيك مثل العرب، وقماشهم أبيض من القطن وهناك شَبَهٌ بزي المغاربة جِبَابٌ و دَرَارِيعٌ بدون تفريع ويلبس أبطاخم أساور الذهب.

أما المشرب والمأكل فهم يشربون من مياه الأنهار والآبار المتحفزة، وأقواتهم من الأرز والفوني ودق مزغب يلبس فيخرج منه شبيه حب الخردل،وهو أبيض بعسل ثم يطحن ويعجن فيؤكل وعندهم:"الحِنْطَةُ" وهي

(1)- محمد ناصل علي باري، سعيد إبراهيم كريورة، المرجع السابق، ص:94.

قليلة والذرة وأغلبها طعام خيولهم ودوابهم، وللسلطان عادات في الأكل فهو لا يأكل بحضور أحد من الناس بل يأكل وحده وبمفرده، وسلاحه خاص يتكون من سيف وتركاش وقوس ونشاب وهم من ذهب كلهم.

وللسلطان حاشية كبيرة حيث يقف خلفه نحو ثلاثين مملوكا من الترك وغيرهم ممن ابتاعهم من مصر، وبيد كل واحد منهم قماش من حرير[1].

وللسلطان شخص يغني له وهو سيافه، وتنتقل إليه الشكاوي من الناس فيفصل فيها بنفسه، ولا يكتب شيئا في الغالب بل يأمر بالقول بلسانه، ومن عطس في مجلسه يضرب ضربا مؤلما لا يسامح أحدا في مثل ذلك فإن بغى أحد أن يعطس انبطح على الأرض وعطس دون أن يعلم، أما الملك إذا عطس ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم[2]، ولا يدخل أحد دار السلطان بنعليه كائنا من كان ومن دخل بنعليه قُتِل بلا عفو عامدا كان أو ساهيا، قال ابن أمير الحاجب:"ورأيت السلطان موسى وهو بمصر لا يأكل إلا منفردا ولا يدخل عليه أحد[3].

-المجال الثقافي:

لقد كان الملك"منسى موسى"متدينا مسلما وكان فقيها بالدين مالكي المذهب[4]، وقد اشترى جملة من كتب المالكية بعد عودته من الحج[5]، وكان من عاداته أنه إذا نشأ لأحدهم بنت حسناء قدمها له أمة في ملكها بغير تزويج مثل ما ملكت اليمين مع ظهور الإسلام وتمذهبهم بمذهب المالكية، ومع كون السلطان متدينا محافظا على الصلاة والقراءة والذكر، فقال له الأمير: لا يجوز شرعا ولا يحل لمسلم فقال السلطان تركت

(1)-العمري، المصدر السابق، ج4، ص:50.

(2)-العمري، المصدر السابق، ج4، ص:51.

(3)- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 300.

(4)- الصفدي، المصدر السابق، ج5، ص: 477.

(5)- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص: 383.

هذا ورجعت عنها رجوعا كليا[1]، ومثل هذا القول يثبت لنا مدى تدينه وحرصه على تطبيق شرائع الإسلام والوقوف عندها وهذا من أسباب وصف المؤرخين له بالعلم والعدل.

كان"كانكان موسى"شديد الحرص على الدين الإسلامي فقد أمر ببناء المساجد"بتنبكتو" التي ظلت شهرتها واسعة لفترة طويلة في السودان الغربي، وقد قيل أن بعض مساجدها من تصميم أحد شعراء غرناطة، والذي يدعى"أبا إسحاق الساحلي"المعروف"بالطويجن"والذي تعرف عليه منسى موسى في مكة[2].

ويذكر السعدي أن الجامع الكبير"بتنبكتو" بناه السلطان الحاج موسى صاحب ملي وهو الذي بناه وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والمغرب وتلك عادة السودان أهل المغرب لا يدفنون موتاهم إلا في رحاب مساجدهم وجوانبها[3]، وقد بنى"الطويجن" المنازل ذات الأسطح المستوية وكانت مدينة"تنبكتو" منارة للثقافة والعلم والحضارة بالسودان الغربي طيلة ما يقرب مائة عام في الفترة التي كانت تحترق فيها أوروبا بحرب المائة عام[4]، ومما لا شك فيه فإن الملك منسى موسى كان مبهورا بجمال القاهرة وقصورها لهذا فقد أمر"الطويجن" ببناء جامع آخر في غاو والذي لم يتبقى منه إلا بعض الحطام وجانب من المحراب وأجمل عمل أنجزه الطويجن هو قاعة المجلس الشهيرة التي بناها في لباني العاصمة والتي أودعها خلاصة فنه، وكان الملك يريد بناء متينا مخصصا فبنى قبة مربعة الشكل استفرغ فيها إجادته وكان من صناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها من الأصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأراضيهم، فوصل للطويجن باثني عشر ألفا من مثاقيل التبر مثوبة عليها وما من شك أ ن مهندس السلطان قد استعمل أكثر المواد شيوعا في هذه المنطقة من السودان وهي الطين المضغوط والمباني المشيدة بمثل هذه المادة في الأماكن المماثلة لنباني وفي موقعها التي تستدعي الترميم المستمر، أما ثماني

---

[1] العمري، المصدر السابق،ج4،ص54

(2)-ياسيل دافيدسون، المرجع السابق، ص:56.

(3)- السعدي: المصدر السابق، ص:56.

(4)- ياسيل دافيدسون، المرجع السابق، ص:56.

ذلك فإن قلة الأمطار تتيح صون المباني بشكل أفضل وتلك حال مساجد جينة وتنبكتو وغاو، ونظرا لقلة الحجارة فقد استعمل الطين المضغوط المقوى بالخشب وهو ما نتج عنه هذا النمط الطريف من المساجد السودانية المقواة بالأخشاب، وإزاء ما توالى على نياني من أعمال التخريب وبعد أن تعرت الجدران من طبقة الجص التي كانت تغطيها تحول البناء الذي أنجزه المهندس الشاعر إلى كومة من الطين والحجارة شأن معظم مباني نياني بفعل المياه[1].

إن هذا الرخاء والازدهار يجدان أبها تعابير هما في الانفتاح الواسع لمالي على العالم الإسلامي(سياسيا، ثقافيا واقتصاديا) وما حج منسى موسى سنة(724هـ/1324م) الذي ترك أهل القاهرة يعيشون على ذكراه لسنوات عديدة والسفارات والهدايا التي أخذ سلاطين مالي يتبادلونها مع المرنيين سوى تعبير رسمي عن ذلك الانفتاح[2].

ولعلنا نختم هذا الفصل بهاته الحكاية التي أوردها رحالتنا ابن بطوطة عند زيارته إلى مالي حيث يقول: "أخبرني فرامغا أن منسى موسى لما وصل إلى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان فأحسن إليه بأربعة آلاف مثقال لنفقته فلما وصلوا إلى ميمة وهي منطقة بإقليم مالي شكا إلى السلطان بأن أربعة آلاف سرقت منه من داره فاستحضر السلطان أمير ميمة وتوعده بالقتل إن لم يحضر من سرقها وطلب الأمير السارق فلم يجد أحدا حيث ولا سارق بتلك البلاد، فدخل القاضي واستدعى خدامه وهددهم فقالت له إحدى جواريه ما ضاع له شيء وإنما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت إليه، فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي ونفاه إلى بلاد الكفار الذين يأكلون بني أدم فأقام عندهم أربع سنين ثم رده إلى بلاده، وإنما لم يأكله الكفار لبياضه.

(1)-نياني، المرجع السابق، ص:161.

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 193.

لأنهم يقولون أن أكل الأبيض مضر لأنه لم ينضج والأسود هو الأنضج بزعمهم[1]".

ومن هذه الحكاية وإن كانت حلوة طريفة إلا أنها تبين لنا مدى صرامة السلطان في الأحكام من سرقة وكذب وأن الحد عنده غال جدا لا يغفر فيه لأحد من الناس.

(1)- أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، المطبعة الخيرية، 1322هـ، ج2، ص: 247.

الفصل الثالث

رحلة "المنسى موسى" إلى الحج وتأثيراتها على العالم الإسلامي

1- انطلاق رحلته ووصوله إلى مصر.

أ- انطلاق الرحلة.

ب- وصول الموكب السلطاني إلى مصر.

- لقاؤه السلطان الناصر"محمد بن قلاوون".

- سقوط سعر الذهب بمصر.

2- أداء فريضة الحج وعودته منها.

3- تأثيرات ما بعد الرحلة ووفاته.

أ- تأثيراتها على العالم الإسلامي.

- المراسلات مع سلطان القاهرة.

- المراسلات مع بني مرين.

ب-وفاة"منسى موسى" و منتوجه الحضاري.

أغنى رجل في التاريخ ملك إفريقي مسلم عاش في مالي قبل 700عام، هكذا عنونت جريدة الشرق الأوسط وتقول:" أنه بحساب التضخم التاريخي فإن قيمة ثروته تبلغ حاليا 400 مليار دولار، وقد يبدو مثل هذا الخبر مثيرا للاستغراب وعدم التصديق وحتى سرياليا أن أغنى رجل في تاريخ البشرية المكتوب كان ملكا مسلما عاش في القرن الرابع عشر ميلادي.

وبحسب موقع"سلبرتي نت وورث"فإنه بحساب التضخم الزمني فإن الملك "منسى موسى الأول" ملك إمبراطورية مالي التي كانت تشمل حينها غانا هو أغنى رجل في تاريخ البشرية بثروة تقدر بالتقييم الحالي بالدولارات **400 مليار دولار**، متقدما بذلك على عائلة "روتشيلد" التاريخية التي برز ثراؤها منذ القرن الثامن عشر، وقيم الموقع ثروة العائلة المجتمعة الموزعة بين دول العالم المختلفة بـــ: **350 مليار دولار** وكذا تفوق على أثرياء العالم مثل: الأمريكي"جون أوكيفيلز"(**1839-1937**) التي قدرت ثروته بحوالي **340 مليار دولار**،والقائمة تطول وتطول، ويرجع علماء الاقتصاد هذا الثراء الفاحش إلى أن هذا الملك بسبب حكمه الممتد في وسط إفريقيا كان يتحكم في أكثر من نصف إنتاج العالم من الذهب و الملح[1].

وسنقوم في هذا الفصل بعرض أبرز الأحداث التي شهدتها رحلة منسى موسى ومحاولة تحليل آراء المؤرخين واستنباطها حول هذه الرحلة التي دون عنها المؤرخون الشيء الكثير،والتي ستعرفنا أكثر على السلطان موسى وكيف أنه وضع لنفسه مكان مع سلاطين العالم الإسلامي والتي تعتبر تعريفا حقيقيا لمنطقة السودان الغربي وإمبراطورية مالي الإسلامية في ذلك الوقت.

(1)- جمال الدين طالب، **أغنى رجل في العالم**،جريدة الشرق الأوسط، العدد:12379، الجمعة 03 ذو الحجة 1433هـ-19 أكتوبر 2012، ص:12.

1 ـــانطلاق رحلته ووصوله إلى مصر:

السلطان"منسى موسى"يقوم بأداء فريضة الحج،وفي عهده كانت الإمبراطورية تعيش أوج قوتها وذروة مجدها وأصبح"منسى موسى"يبحث لنفسه عن مكان وليس أي مكان بين حكام الأقطار الإسلامية،لذلك جاء حجه في مستوى هذه التطلعات بحيث رتب له من المظاهر ما يدل على مكانته و كذلك على قوته وكثرة ذهبه[1].

أ-انطلاق الرحلة:

قام السلطان موسى برحلة إلى الحج725هـ/1324م،بعد أن أستغرق التجهيز لها مدة خمس سنوات[2]، وبدأ رحلته في حاشية ضخمة وتفاوتت تقديرات عدد من صحبوه تفاوتا كبيرا[3]، فمنهم من ذهب إلى حد القول بأن رأس أول قافلته"بتنبكتو"وهو لازال في داره في"مل" وهذا قول"محمود كعت"، أما السعدي فيقول بين يديه إذا ركب خمسمائة من العبيد وبيد كل واحد منهم عصى من الذهب، كل منها خمسمائة مثقال ذهب[4] وعدهم ابن كثير بحوالي عشرين ألف من الخدم[5].

و يذكر المقريزي أنه قدم معه أربعة عشر ألف جارية برسم خدمته[6]، وصاحب العبر يذكرنا أن الذي يحمل آلته وحربته من الوصائف خاصة اثنا عشر ألفا لأسباب أقبية الديباج والحرير اليماني[7].

أما عن كمية الذهب التي حملها فأقل ما يقال عنها فهو الذهب الكثير[8]، حيث جاء هذا الملك من بلده بثمانين حملا من التبر كل حمل ثلاثة قناطير، وكانوا يحملون على الرجال والوصائف والسفر البعيد على المطايا[9].ويقال أن منسى موسى قد سافر عبر الصحراء وبصحبته ثمانية آلاف تابع كما أخذ معه الكثير من

---

(1)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص:244.

(2)- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:59.

(3)-سادموبانيكار، المرجع السابق، ص:96.

(4)- عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص:07.

(5)- الحافظ ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص:241.

(6)- المقريزي، المصدر السابق، ص:142.

(7)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص:268.

(8)-الحافظ ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص:241.

(9)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص:268.

الذهب[1]وكان عدد الحراس الذين رافقوا القافلة بستة آلاف حارس وعلى الرغم من أن هذا الرقم يبدو كبيرا، إلا أننا لا نستبعد ذلك خاصة بعد حادثة اغتيال"ساكورة"في طريق عودته من الحج ولهذا السبب أصبح سلاطين مالي يعدون بدقة أكبر وانتظام رحلات سفرهم[2]،وحسبما تقتضي التقاليد طلب لذلك مساهمة خاصة من جميع المدن التجارية والمقاطعات وغادر نيالي العاصمة وسط حراسة كبيرة، وإن كانت أرقام المؤرخين العرب مبالغا فيها إلا أنها تدلنا على كل حال على عظمة ملك مالي الذي صحبه ستون ألف جمال وخمسمائة خادم في حلل موشاة بالذهب ويحمل كل منهم عصا من ذهب[3]، وكان هذا البذخ والترف غير المألوف في القافلة التي يسير في ركابها"موسى الأسود"هام في العديد من القصص والأوصاف[4]، وقد قام بجمع المال ونادى من بأرضه من كل جانب يطلب الزاد والعون وأتى أحد مشايخه يطلب منه يختار له يوم الخروج في الأيام فقال أرى أن تنتظر يوم السبت الذي يكون ثاني عشر من الشهر وأخرج فيه لا تموت حتى ترجع لدارك سالما إن شاء الله، وسكت بعض حضوا. ذلك[5].

وحسب هذه الروايات يتضح جليا أن السلطان موسى لم يتعجل الأمور وإنما أخذ ما يكفيه من الوقت لإعداده وترتيبه لرحلته الحجية وقد دامت مرحلة الإعداد زهاء سنة كاملة اتخذ خلالها جميع احتياطاته لمواجهة أي ظرف طارئ،وكان أول عمل قام به أنه استناب ابنه محمد"منسامغا"وجعله وصيا على العرش إلى حين عودته[6]. وأمام هذه الآراء التي تصور عدد الرجال وكمية الذهب التي حملوها معهم يطرح الأستاذ الدكتور "الهادي المبروك الدالي"جملة من الأسئلة منها:

– ما الذي يكفي هذا العدد الهائل من البشر الذي رأسه في تنبكت وقاعدته عند ملك مل من مركوب وغذاء وماء وكساء طوال هذه الرحلة الشاقة والطويلة والتي تقدر بحوالي خمسة عشر ألف كيلومتر تقريبا؟

---

(1)–ف. جي. دي، المرجع السابق، ص:57.

(2)– عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص:276.

(3)–نفس، المرجع السابق، ص:160

(4)– جون جوزيف، المرجع السابق، ص: 77.

(5)–أحمد شكري، المرجع السابق، ص:247.

(6)–نفسه، ص: 248.

– إن المسافة بين مل قاعدة الملك ومدينة تنبكت ألف وثلاثمائة كيلومتر قطعتها سيارتي في ثلاثة أيام فكيف له أن يكون رأس قافلته بتنبكت وهو بداره بمل[1]؟

وافترض جدلا التصديق بهذا العدد الهائل من البشر الذي رافقه في رحلته ولو وضعناهم في قافلة منتظمة إنهم لا يصلون إلى مدينة"سكر"التي تبعد عن قاعدة مالي بحوالي مائتين وخمسين كلم.

–إن كمية الذهب التي حملت في هذه الرحلة تعتبر فمكا للاقتصاد الوطني فكيف لرجل مثل الملك "منسى موسى"أن ينهك خزينة بلاده التي هو في أمس الحاجة إليها لبناء جيش قوي يفتح به الأمصار،ويرد كيد الطامعين؟ و ما عرف عن الملك "منسى موسى"إلا الورع والصلاح وسداد الرأي فمن أين له أن يفعل مثل هذه الأفعال؟

من وجهة نظري أن هذه الهالة التي عبر عنها عدد من المؤرخين القدامى والمحدثين مردها إلى الخيال الزائد الذي ينسج على الأبطال دائما من قبل رعيتهم والدليل على ذلك قصة زوجة السلطان"منسى موسى" وطلبها من زوجها أن يصنع لها بحيرة ماء تستحم فيها وهي في أعماق الصحراء فلبى زوجها طلبها، هل يعقل أن يستنفذ السلطان والقائد كمية الماء التي يحملها معه وهو في أعماق الصحراء في سبيل طلب زوجته؟

هذه الأمور تكشف بجلاء الخيال الواسع الذي درجت عليه الرواية الشفوية، ولكن في الوقت نفسه لا تنكر الثراء الواسع الذي كانت عليه مملكة مالي الإسلامية[2].

والصواب في هذا وإن كانت بعض المصادر قد بالغت في العدد والعدة، فإن أقرب الروايات حسبما يظهر لنا هي رواية ابن خلدون التي تمتلك مصداقية معتبرة بهذا الشأن

(1)– الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:60.

(2)–نفسه ، ص:61.

ويمكننا القول أن الركب السلطاني هز اثنتي عشر ألف نفر[1].أما طريق حجه فقد مشى بطريق ولات في العوالي على موضع توات فتخلف هناك كثير من أصحابه بوجع برجل أصابه في ذلك المشي فاستوطن كثير منهم فيه وسمي ذلك الموضع على تلك العلة[2]، وتوات هذه تقع في صحراء الجزائر ثم مر بغدامس وسيرت في برقة بنيبيا ثم الإسكندرية فالقاهرة[3]، وكان الموكب يضم زوجة"منسى موسى"المسماة:"إناركنت"وعدد غير قليل من الأمراء وحكام الأقاليم والفقهاء والقضاة فمنهم بعض المغاربة القاطنين بمالي، ومشى مع السلطان سليمان بن يعت وكان من خدمه يركب أمام الرفقة، ومجموع حاشيته لا يتجاوز ثلاثة آلاف نفر بينما كان الباقي تقديره تسعة آلاف يتكون من العبيد[4].

اعتبر المؤرخ المستشرق"مونتيل"أن هذه الإحصاءات مجرد استعظام للأعداد التي رافقت"منسى موسى"[5]، وهذا فيه نوع من الإجحاف ونحن لا ننكر أن المصادر الشفوية قد تمادت قليلا، إلا أن أعداد المصادر العربية تعتبر قريبة من واقع الحادثة.

ب-وصول الموكب السلطاني إلى مصر:

لقد ظل سكان القاهرة القديمة يتحدثون عن موكب"منسى موسى"الفخم طيلة مائة عام بعد مروره بها في طريقه إلى مكة عن خدمه وزوجاته وهداياه وفرسانه ومظاهر العظمة التي تمتع بها ملك يمتد سلطانه ليشمل بلادا تعادل في مساحتها مساحة غرب أوروبا كلها مجتمعة[6].

من هذا المنطلق يتضح لنا مدى الإثارة والأبهة التي حل بها موكب سلطان مالي والذي كان وصوله إلى القاهرة بمثابة الشيء العجيب وذلك أقل ما يقال عنه لما كان يمثله السلطان"منسى موسى"وحاشيته من الفخامة والثراء ونظرة الشعب المصري له فيما بعد وأصداء هذا كله على كل العالم ليست على العالم الإسلامي

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص:244.

(2)- السعدي، المصدر السابق، ص:07.

(3)- محمد ناضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:85.

(4)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص:245.

(5) -Ch-Monteil, "Les Empires de Mali" ,P379.

(6)-باسيل دافدسن، المرجع السابق، ص:46.

فحسب.إن خروج موكب السلطان من مالي باتجاه الحجاز لم يحدد بتاريخ دقيق بيد أن وصوله إلى مصر عام 724هـ/1324م، حدد بالتدقيق حيث يقول المقريزي:"عدى إلى بر مصر يوم الخميس سادس عشر من شهر رجب[1] ويتفق معه ابن حجر العسقلاني في هذا التاريخ[2].يقول ابن خلدون خرجعند الأهرام بمصر وأقام تحتها ثلاثة أيام في الضيافة[3]، وصحبته تقادم جليلة السلطان[4]، وقد استقبل استقبالا رسميا وكان حاكم مصر مصر في تلك الفترة "محمد بن قلاوون"[5].

للتوضيح فالأحداث التي وقعت للسلطان"منسى موسى"بمصر كثيرة وحاولنا التدقيق فيها قدر الإمكان والخروج برأي موضوعي حول كل هذا.

-لقاؤه السلطان الناصر"محمد بن قلاوون":

يقول العمري:"ثم أنه قدم للغزالة السلطانية جملا كثيرة من الذهب المعدني الذي لم يصنع منه وقدمها إلى الأمير أبي العباس أحمد بن الجاكي المهمندار"وقال لي:لما خرجت لملتقاه أعني من جهة السلطان الأعظم الملك الناصر أكرمني إكراما بليغا وعاملني بأجمل الآداب ولكن كان لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادة معرفته للتكلم باللسان العربي وحاولته أن يطلع إلى القلعة ويجتمع بالسلطان فأبى وامتنع وقال:أنا جئت لأحج لا لشيءآخر وما أريد أن أخلط حجي بغيره وشرعفي الاحتجاج بهذا، وأنا أفهم أنه يرى الحضور نقصا عليه لما يضطر إليه من تقبيل الأرض واليد، وبقيت أحاوله وهو يتعلل ويتعذر والمراسيم السلطانية تتقاضى في إحضاره فمازلت به حتى وافق[6].

---

(1)- تقي الدين المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 7ج، تح: محمد عبد القادر عطاء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1418هـ/1997م، ج3، ص: 73.

(2)- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص:383

(3)- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص:495.

(4)- ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 2ج، القاهرة، 1395هـ/1975م، ج1، ص: 457.

(5)-هادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص:62.

(6)- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص: 57.

ويتضح لنا من كلام العمري أن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون"كانت لديه عادة في استقبال الملوك بمصر، ذلك أن الذي يجيء عنده يؤمر بتقبيل الأرض واليد، وقد رأى "منسى موسى" في هذا انتقاصا من قيمته وهيبته ومروءته لذلك أبى أن يقابل السلطان في القلعة ولكن إلحاح الأمير المهمندار عليه جعله يوافق ويذهب لمقابلة السلطان، واختلفت المصادر في مسألة التقبيل هذه فمنهم من يقول أنه قبل الأرض واليد ومنهم من يقول أنه لم يفعل.

يقول ابن كثير:"ولما دخل إلى قلعة الجبل ليسلم على السلطان أمر بتقبيل الأرض فامتنع عن ذلك فأكرمه السلطان و لم يمكن من الجلوس أيضا حتى خرج من بين يديه[1]، بحيث ركب إلى القلعة يوم الخدمة فامتنع أن يقبل الأرض وقال للترجمان أنا مالكي المذهب ولا أسجد لغير الله فأعفاه السلطان من ذلك وقربه وأكرمه[2]، يقول ابن حجر"أنه ادخل على السلطان وامتنع من تقبيل الأرض وقال لا أسجد لغير لله فأعفاه من ذلك[3]. غير أن المؤرخ الصفدي يقول:"أنه استأذن في الصعود إلى القلعة لتقبيل يد السلطان فأدخله فطلع في طائفة يسيرة ولما وصل أمر بتقبيل الأرض فامتنع فألزم ففعل ذلك على كره و لم يمكن من الجلوس[4].

إن العمري أقرب المصادر إلى هذه الحادثة حيث يقول:"فلما حضر إلى حضرة السلطان قلنا له قبل الأرض، فتوقف وأبى إباء ظاهرا وقال:كيف يجوز هذا؟فأسر إليه رجل عاقل كان معه كلاما لا نعلمه فقال: لا أسجد إلا لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد وتقدم للسلطان فقام له بعض القيام وأكرمه وأجلسه إلى جانبه وتحادثا طويلا[5]"ومن هنا فإن السلطان"منسى موسى"كان لا يريد القيام بهذه العادة أمام سلطان مصر ولهذا فقد قال للحضور أنا مسلم مالكي المذهب لا أسجد لغير الله، وفي هذا إثبات كبير على أن السلطان لم يسجد في حضرة السلطان وإنما سجد لله وهذا فراسة وشجاعة كبيرتين تحسب للسلطان"منسى موسى"لهذا وصفه

(1)-ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص:242.

(2)- المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، المصدر السابق، ص:142.

(3)-ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص:384

(4)- الصفدي، المصدر السابق، ج5، ص: 478.

(5)-العمري، المصدر السابق، ج 04، ص:57.

المؤرخون بالورع و الذكاء والمروءة، ويقال أنه أهدى للسلطان شيئا كثيرا من الذهب المعدني قدرت بحوالي خمسة آلاف مثقال[1].

وكانت من التبر الذي لم يصنع[2]،والإحصاءات في هذا تتعدد حيث كان عطاؤه للسلطان وفيرا قدر بـــ:أربعين ألف دينار، أما نائبه فأكرمه بعشرة آلاف[3]،ويقول صاحب مرآة الجنان أنه أهداه أربعين ألف مثقال وإلى نائبه عشرة آلاف[4]،ويبدو أن ابن خلدون كان مصيبا عندما قدر هدية"منسى موسى"بحوالي خمسين ألف دينار بين الملك ووزيره[5].

أما السلطان الناصر فقد قابل الحسنة بمثلها فقد أحضر له حصان أشهب برناري وأطلس أحمر وهيئت له آلات كثيرة تليق بمثله[6]،وخلع له خلعة سنية[7]، وبعث معه الأمراء يقومون بخدمته في رحلته[8]، وقد أحاطه بعناية خاصة وأهداه الحرير والخيل وبعيرا محملا ذهبا بحوالي خمسة آلاف مثقال[9].

-سقوط سعر الذهب بمصر وحديث أهل القاهرة عليه:

تجمع المصادر على أن سعر الذهب بمصر قد سقط وذلك منذ وصول"منسى موسى"وموكبه إليها، فقدومه في أولف من عسكره أسقط سعر الذهب درهمين[10]، وهذا لكثرة ما كانوا يحملونه ويتعاملون به[11]، ويذهب المقريزي من أن الذهب سقط بستة دراهم كاملة لأن السلطان أخرج منه الشيء الكثير خصوصا نزوله إلى القاهرة وشرائه

(1)- الشوكاني، المصدر السابق، ج 02، ص:314.
(2)- ابن حجر، المصدر السابق، ج 04، ص:384.
(3)-الذهبي، المصدر السابق، ج 04، ص:72.
(4)- اليافعي، المصدر السابق، ج 04، ص:204.
(5)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج05، ص:495.
(6)-ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص:242.
(7)-الصفدي، المصدر السابق، ج5، ص: 477.
(8)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج05، ص:495.
(9)- الهادي امبوك الدالي، المرجع السابق، ص: 63.
(10) اليافعي، المصدر السابق، ج 04، ص:204.
(11)-ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص:242.

ما يريد من الجواري والثياب وغير ذلك[1]. ولأن الملك"منسى موسى" لم يدع أميرا ولا صاحب وظيفة إلا أعطاه من ذلك فكان كثرة ما أعطاه مؤثرا بانحطاط سعر الدينار بالديار المصرية[2]،ولعل رواية ابن خلدون بأن"منسى موسى"جاء من بلاده بثمانين حملا من التبر كل حمل بثلاثة قناطير[3]، كافية لأن يسقط الذهب بهذا المقدار الذي تحدث عنه المؤرخون.لقد توقع أهل مالي كل المشاكل المادية والمعنوية، لكن لم يخطر ببالهم أو الشيء الذي خاب ظنهم فيه هو سوء معاملة أهل مصر لهم، فكان أهل مالي متحمسين برفقة ملكهم متأكدين أن إخوانهم المسلمين هناك سيسعدون برؤيتهم، ويباركون مسعاهم وكانوا يتوقعون من أهل مصر أن يأخذوا بأيديهم على اعتبار حداثتهم بالإسلام وأن يساعدوهم ويشجعوهم على بلوغ هدفهم، هذا وما كان السودانيون وسلطانهم ينتظرونه حينما خرجوا من مالي إلا حسن المعاملة لهم وكبرت هذه الآمال في أنفسهم كلما اقتربوا من جامع الأزهر والحرمين الشريفين[4].

لقد كان"منسى موسى"رجلا تقيا ورعا طيب العشرة سخيا، لكن كذلك كان أبي النفس بالغ الحساسية لذلك بدا عليه تأثر بالغ عندما أجبر على السجود وبقي في نفسه الشيء الكثير من هذا الحادث، فرغب عن مصادقة المماليك وأمرائهم، وسعد كثيرا بصحبة هلال الحاجب من بني عبد الواد، الذي كان في طريقه إلى القاهرة[5].

إن رفع التجار المصريين للأسعار وبيعها للسودانيين وكذا الإهانات المتلاحقة التي تعرضوا لها من طرف المماليك وحكامهم أثر عليهم لكنهم تمالكوا أنفسهم و لم ينشغلوا عن دينهم، ويشهد الأمير المملوكي أبو الحسن علي أن"منسى موسى"طوال إقامته بمصر كان على نمط واحد من العبادة والتوجه لله عز وجل لكثرة

(1)-المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ج3، ص:73.
(2)-الشوكاني، المصدر السابق، ج 02، ص:314.
(3)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص:286.
(4)- أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 248.
(5)-نفسه، ص: 249.

حضوره، وكان هو ومن معه على مثل هذا مع حسن الزي في الملبس والسكينة والوقار[1]، وحسب تعبير "منسى موسى" نفسه أنه جاء لمصر لا لشيء آخر غير قضاء فرضه لذلك وجدناه يبحث ويسأل عن فقهاء المالكية بمصر للاستنارة بنصائحهم والاستفادة من علمهم واختص"منسى موسى"بمجلسه فقيها من بجاية بالمغرب الأوسط وهو القاضي"شرف الدين أبو الروح الزواوي"الذي يظهر أنه جالس"منسى موسى"كثيرا[2]، وبعد هذا فقد صرح"منسى موسى"بأنه المدافع الأكبر عن الإسلام وأنه يحارب الكفرة الوثنيين في جنوب بلاده وأن مملكته تعد بقعة صغيرة بيضاء في جسم بقرة سوداء[3].

لقد كان لوصول"منسى موسى"إلى القاهرة الأثر البالغ في عقول المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الفترة ولعل بعض الأجانب انبهروا بها حيث يقول أحدهم:" لم يصعب على من أتيح له أن يشاهد بعض الزعماء الإفريقيين هذه الأيام أن يصدق مثل هذه الرواية فالواحد منهم يحمل عصى تلمع من الذهب وتتبعه فئات أخرى يحملها أتباعه وأبناؤه[4].

2 ـــأداء فريضة الحج وعودته منها:

أ– أداء فريضة حجه:

بعد أن استراح الركب السوداني بضعة أشهر بمصر واستجمع قوته أخذ يتهيأ رفقة الركب الحجي المصري للخروج إلى الحجاز[5]" وخرج مع الركب بعدها الأمير سيف الدين أيتمش أمير الركب فسار ركبا وحده[6]، وبعث معه السلطان الناصر"محمد بن قلاوون" الأمراء يقومون بخدمته إلى أن قضى فرضه سنة أربع وعشرين[7]،وغادر العاصمة المصرية في العادة يوم:21 شوال والمسافة الفاصلة بين القاهرة ومكة تستغرق في

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 249.
(2)- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص: 84.
(3)-عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 277.
(4)-نيابي، المرجع السابق، ص: 160.
(5)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 250.
(6)-المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، المصدر السابق، ص:143.
(7)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج05، ص:495.

أحسن الأحوال ستة وثلاثون يوما، وأدى السلطان"منسى موسى"مع قومه مناسك الحج، وزار قبر النبي — صلى الله عليه وسلم —[1]، أما عن أهم الأحداث التي وقعت معه أثناء حجه، فيذكر اليافعي: " أنه رآه في منزله في الشباك المشرف على الكعبة بحي رباط الحوري وهو يسكن أصحابه التالدة عند هيجان فتنة ثارت بينهم وبين الترك وقد شهروا فيها السيوف في المسجد الحرام وهو مشرف عليهم، فيشير عليهم بالرجوع عن القتال شديد الغضب عليهم في تلك الفتنة وذلك لرجحان عقله إذ لا ملجأ له ولا ناصر في غير وطنه وأهله وإن ضاق الفضاء بخيله ورجله"[2]، ويحسب هذا أيضا للملك"منسى موسى"في أدائه مناسك الحج حيث أنه لم ينشغل عن أمور رعيته وإنما كان شديد الحرص عليهم وعلى سلامتهم وعدم الوقوع في الفتنة خصوصا مع الغرباء، وذلك يحمل معنى كبيرا لما يتميز به من رجحان عقله وثباته وفصله في الأمور مع مراعاته لحرمة بلد الله الحرام في شهره الحرام، فقد كان قريبا من رعيته شديدا عليهم في الفتنة حليما معهم في السكينة، وهذا ما يثبت تعلق أهل مملكته به في الشدة والرخاء.

وكان"منسى موسى"شديد التصدق بالمال في أرض الحرمين الشريفين حيث أفاض على الحجيج وأهل الحرمين من الإحسان لهم والتصدق عليهم وكان في غاية حسن الظن بالناس[3]،يقول السعدي:"ويذكر أن الناس قد تعجبوا من قوته في ملكه ولكن ما وصفوه بالجود والكرم لأنه ما تصدق في الحرمين مع كثرة ملكه إلا بعشرين ألف ذهبا[4]، ويعتبر صاحب تاريخ السودان هذا الرقم ضئيلا مع أن الناس قد أثنوا عليه كثيرا ولعل ذهاب السعدي إلى أن الرقم كان ضئيلا لأنه قارن ما تصدق به"الأسكيا الحاج محمد الكبير"وهو حوالي مائة ألف ذهبا على حساب ما ذكره، أما هذا الكرم والجود والتفاني في البر والصدقة هو الذي جعل السلطان"موسى" يلتقي بكبار الفقهاء والشعراء في الحج فيما بعد.

---

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 251.

(2)-اليافعي، المصدر السابق، ج04، ص: 204.

(3)- العمري، المصدر السابق، ج4، ص: 59.

(4)-السعدي، المصدر السابق، ص: 08.

ومن الحوادث التي حدثت معه أمر مشيخة مكة القريشيين الذين سيصحبهم معه إلى بلاده، حيث نجح في جلب أربعة منهم على ما أجازنا به صاحب تاريخ الفتاش[1]، أما أهم حدث جرى"لمنسا موسى"هو التقاؤه "بأبي إسحاق الطويجن"الذي كان له الفضل في تطوير المساجد والعمارة بمالي، وقد ترجم له المقري بقوله:"أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن، العالم المشهور، والصالح المشكور، والشاعر المذكور، من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة، كان أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها،متفننا وله الباع المديد في الفرائض، ارتحل عن الأندلس إلى المشرق وبها توفي رحمه الله تعالى[2]، وقد توثقت العلاقة بينه وبين"منسى موسى"ورحل معه إلى مالي وتوطن بتنبكت وبها توفي عام:747هـ/1347م.

وأمام هذه المعلومات الضئيلة يبدو جليا أن المصادر كانت بخيلة جدا في كلامها عن إقامة الموكب السلطاني المالي بالحجاز مقارنة مع كلامهما أثناء إقامته بمصر[3].

ب- النكبة التي تعرض لها وعودته إلى القاهرة:

إن عودة"منسى موسى"من الحج باتجاه القاهرة تعتبر من أبرز الأحداث التي غابت عن ديوان المؤرخين أو بالأحرى تجاهلهم لها وأصحاب المصادر الذين تحدثوا عن"منسى موسى"تجاهلوها في أغلبها، إن لم نقل أنهم مروا عليها مرور الكرام، وهذا ما أسال حفيظة بعض المؤرخين أمثال الأستاذ:"أحمد شكري"والذي حاول أن يبرز نقاط الغموض وتحليلها تحليلا دقيقا، وسنورد إن شاء الله ما تيسر لنا ونحاول الخروج بحوصلة عامة وراي موضوعي حول هذه النكبة.

تأخر الملك"منسى موسى"بمكة بعد الموسم أياما وعاد فهلك كثير من أصحابه وجماله بالبرد حتى لم يصل معه إلا الثلث منهم[4]، وأصابته بالحجاز نكبة ذلك أنه ظل الطريق[1]،أما عن من رافقوه فيقول صاحب

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 251.

(2)-أحمد بن المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 10ج، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج3، ص: 194.

(3)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 251.

(4)- المقريزي، **اللهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، المصدر السابق، ص:143.

فتح الشكور في ترجمته لعبد الرحمن التميمي رحمه الله:"جاء من أرض الحجاز مع السلطان موسى صاحب مل حين رجع من الحج، سكن تنبكتو وأدركها حافلة بالفقهاء السودانيين ولما أتاهم فاقوا عليه في الفقه فرحل إلى فاس فتفقه فيها ثم عاد إلى تنبكتو، وروي أن طلبة سنكوري إذا جاءوا السيد يحي لأخذ العلم يقول لهم يا أهل سنكوري كفاكم سيدي"عبد الرحمان التميمي"[2]،ويظهر لنا أن"منسى موسى"كان حريصا على الفقه المالكي وجلب معه من الحجاز علما من أعلامه وهو"عبد الرحمان التميمي"وهذا إثبات تأخره عن ركب مصر، وهناك سبب آخر وهو سوء معاملة المماليك للسلطان"منسى موسى"لذا قرر التأخر عنهم، ولعل هذا التأخر بمكة وتمديد إقامته بها أياما بعد انتهاء موسم الحج أضاف عاملا آخر ساهم في عرقلة مهمة أصحاب مصادرنا وجعلهم عاجزين عن متابعة أخباره هناك[3].

نعود إلى نكبة السلطان موسى وظلال الطريق بالحجاز حيث يطرح الأستاذ:"أحمد شكري"أسئلة كثيرة عن هذا التيه في الصحراء وتعرضه للسرقة والنهب منها:

أن المسألة مدعاة للارتياب، وضياع القافلة السودانية في الصحراء بالحجاز مجهولة لدينا عن تلك العلاقة التي طبعها التنافر وسوء التفاهم كما رأينا أو نؤكد بأن الناصر كان وراء تعرض الركب السوداني من تجرؤ الأعراب عليه، ونسأل ما هي فائدة الأموال والمثاقيل الذهبية التي وزعها سلطان مالي على الدليل العجرمي ورفاقه؟ ثم من هنا بيت القصيد من حقنا أن نعرف الأسباب التي جعلت المصادر المشرقية القريبة من الحدث زمنيا تتجاهل الركب السوداني؟

– إن الجواب بالنفي أو السلب سيضع الباحث في موقف لا يحسد عليه، ذلك أن العمري أقرب المصادر الزمنية إلى الحادثة والذي شكل أهم المصادر في الحديث عن السلطان"منسى موسى"ومملكته كان مقربا من

(1)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج05، ص:495.

(2)-محمد بن أبي بكر الصديق البرنبي التواتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ص: 176.

(3)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 251.

المهمندار أبي العباس أحمد بن الجاكي الذي استقبل"منسى موسى"، لماذا لم يحدثه عن هذه الواقعة الخطيرة؟[1].

– إن العمري في نظرنا كان على علم دقيق بالتفاصيل عن نكبة"منسى موسى"، وأن تجاهله للحدث يعود أساسا بمعرفته بخلفيته وأبعاده[2].

– إن الأسئلة والمعلومات التي ذكرها"أحمد شكري"مهمة للغاية وذلك للوصول إلى معرفة ماذا حدث في طريق العودة من الحج، ولعل الأسئلة التي طرحها ولم يجب عنها المؤرخون من المصادر باستثناء ابن خلدون أنها أصابته نكبة فظل الطريق والتي تكلم عنها المقريزي بعده لدليل على أنه هناك من الأشياء المخفية والتي تبقى الحلقة المفقودة في هذه الرحلة.

عاد"المنسى"إلى القاهرة بعد نجاته ومن معه في طريق الحج، ولم يبق له من المال شيء فاضطر إلى الاقتراض من تجار مصر وكبار سادتها وأمرائها، يقول النويري:"رجع إلى بلاده سنة:725هـ وكان قد أحضر صحبته جملة من الذهب فأنفقها بجملتها وفرقها وتعوض ببعضها قماشا، واحتاج إلى استدان جملة من التجار وغيرهم قبل سفره[3]، ويتضح من هنا أن مصاريفه لم تحقق في ذهاب كل هذا الذهب مع أنه الشيء الكثير، ومن المستبعد أن"منسى موسى"ينفقه كله ولا يدخر أي شيء يساعده على العودة إلى بلاده، وأظن أن ترجيح أقوال الأستاذ:"أحمد شكري" أمر ضروري وأن تجار مصر استغلوا القيمة الأخلاقية العالية لهذا الملك وأصبح ينتظر بفارغ الصبر الرحيل عن القاهرة واستدان من أعيان تجارها، يقول ابن خلدون:"فأعجزته النفقة فأقترض من أعيان التجار، وكان في صحبته أهل الكويك فأقرضوه خمسين ألف دينار[4]، ويقال أن من أقرضه شخص يسمى:"سراج الدين"فتسلف منه المال وبعث معه سراج الدين وكيله يقتضي المال فأقام بملي[5].

(1)–أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 254.

(2)–نفسه، ص: 255.

(3)– أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 33ج: تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج33، ص:54.

(4)–ابن خلدون، المصدر السابق، ج05، ص:495.

(5)– السعدي، المصدر السابق، ص: 08.

ج- عودة سلطان مالي إلى ديارة:

سلك السلطان المالي طريق العودة عبر الأراضي الليبية حيث مر على مدينة"غدامس"واصطحب معه المهندس الليبي"عبد الله الكومي المغدامسي"الذي طور بناء جامعة سنكوري وقصره مع المهندس"أبي إسحاق الساحلي"وأصبح فيما بعد مستشاره، وفي طريق العودة إلى الديار سمع بتمرد أهل"سنغاي"عن حاضرة الدولة فغير طريق مسيره واتجه جنوب"جاو"حاضرة الإقليم السابق، ولما علم ملك الإقليم بقدومه استقبله استقبالا يليق بمقامه وقدم له فروض الطاعة والولاء كما مر ركب السلطان بمدينة"تنبكت"ذات الحضارة الزاهرة، وقد شيد بها المسجد الكبير وقصرا له[1].

تبقى في بوصلة العودة حيث يقول السعدي:"ابتنى مسجدا أو محرابا خارج مدينة كاغ وصلى فيها الجمعة وهي هناك إلى الآن وذلك عادته رحمه الله في كل موضع أخذته الجمعة فيه[2]، من هذا المنظور يتبين لنا أن"منسى موسى"كان شديد الحرص والتعلق بالإسلام حيث أن كل مكان أخذته الجمعة فيه بنى فيه مسجدا كذلك فأداء فريضة الحج أبعدته عن الدنيا وأصبح كثير الطاعات والقربات إلى الله، ولعل من الأسباب التي جعلت"الحاج موسى" لا يلقي الكثير من البال على كل الإهانات التي لحقت به في القاهرة هو ورعه رحمة الله عليه، وإيمانه أن الإسلام دين مرحمة لا دين ملحمة وإذا قال قائل أن"منسى موسى"أنتقم لنفسه ورعاياه من عائلة الكوبيك التي أتت مالي تسترد مالها، فلماذا جل المصادر لا تتحدث عنها ولو بالإشارة إليها؟ يقول مؤرخ السودان:"فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له فلما وصل تنبكت أضافه أبو إسحاق الساحلي فكان من القدر موته تلك الليلة فتكلم الناس في ذلك واتهموا أنه سم فقال لهم ولده:إني أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان به سم لقتلنا جميعا، لكنه انقضى أجله، ووصل الولد إلى ملي وأقتضى ماله وانصرف إلى مصر، والواضح أن مسألة الانتقام لم ترد عند ابن السعدي وابن بطوطة وأن تلميح ابن خلدون قد يكون في سياق آخر، أما هذا السياق فيبدو الأمر بعيدا، لأن"منسى موسى"لو أراد الانتقام لنفسه وعشيرته

(1)- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 63.

(2)-السعدي، المصدر السابق، ص: 08.

لقتل كل الناس الذين أتوا مع سراج الدين ولو أن الحرقة مازالت في قلبه كما يقول الأستاذ الشكري[1] لما أعاد لابنه المال وتركه يعود إلى بلاده، وفي هذا الأمر نظر وتحقيق والله أعلم.

أصبح "منسى موسى" مدركا لما يمكن أن يفضي إليه الاعتماد الزائد على الشمال من الإضرار بالمصالح، فأراد أن يؤثر في حكام الشرق بورعه وثروته وقوته، كما كان موفقا للغاية في أهدافه السياسية فقد تواصلت علاقاته بمصر بعد زيارته لها فضلا عن دعم الزيارة لروابط الإسلام[2].

لقد قام ملك مالي الذي كان يحكم من الغابات حتى الصحراء علاقات مع حكام مصر ومراكش وهكذا وصلت شهرة مالي إلى أوروبا[3]، وهناك من يقول أن "منسى موسى" أنشأ بالقاهرة نزلا (لوكاندة صغيرة للطلاب) الذين كانوا يفدون من غرب إفريقيا للدراسة في القاهرة[4]، والمهم من هذا كله أن "منسى موسى" قد أقام علاقات قوية مع البلدان التي مر بها[5].

وكحوصلة لرحلة الحج الذهبية هذه فإن كل ما يعنينا هو إظهار ما تمخض عنها من آثار طيبة ونتائج عظيمة وقيام علاقات وطيدة مع بلدان العالم الإسلامي، ساعدت على أن تظهر مالي بمظهر إسلامي واضح أعطى زخما قويا لازدهار معالم الحضارة الإسلامية وظهور المدن والمراكز الإسلامية بصورة قوية وواضحة في تلك الدولة وتعمق الشعور الديني الإسلامي لدى شعبها فسادها ود وتفاهم مع البلاد العربية الإسلامية ونمو الحركة الإسلامية التي بدأت تندفع عبر الغابات الاستوائية لنشر دعوة الحق[6].

---

(1)– أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 258.

(2)–سادهوبانيكار، المرجع السابق، ص: 106.

(3)– دنيس يوليم، المرجع السابق، ص:50.

(4)–ج.جي.دي، المرجع السابق، ص: 57.

(5)–تيالي، المرجع السابق، ص: 161.

(6)–محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص: 85.

إن هذا الحاكم الجليل، أعظم الأباطرة الذين عرفتهم مالي حيث جاهد كثيرا في إعلاء شأن بلاده وتحقيق الرفعة والتقدم لها، أما قافلته فقد أبرزت مظاهر ثراء هذا العاهل الإفريقي[1].

تعد هذه الرحلة هي النقطة التي ذاعت بها شهرة"موسى الأسود"في العالم الإسلامي وأعترف به على أساس أنه ملك ماليو"خان إفريقيا" وقام الرسامون برسم صورته وهو يرتدي عباءة فخمة وعلى رأسه تاج من الذهب الخالص المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة[2]، وتجاوزت شهرته كل ذلك حتى وصلت بسرعة إلى أوروبا الغربية وظهرت مالي وصورة ملكها مرسومة على الخريطة التي رسمها رساموا الخرائط اليهودJewich عام:1339م في بلدة"ماجوركاMajorca"[3].

لقد كان لرحلة الحج تلك نتائج عديدة بالنسبة لتاريخ السودان الغربي في فتراته اللاحقة إذ زاد اهتمام مصر، المغرب، البرتغال و المدن التجارية الإيطالية بمالي شيئا فشيئا والدليل على ذلك حي بولاق التكروري الذي ينسب إلى أحد الصلحاء التكارورة، وكان يوجد به حاليا عدد كبير منهم، كذلك خصص أحد أروقة الأزهر للطلبة والعلماء من تكرور[4].إذ فحق لأهل مالي وإفريقيا أن يفتخروا ويعتزوا بسلطانهم"منسى موسى" وحجته التي عرفت بالحجة الذهبية والتي عبرت عن تاريخ وأصالة هذا الشعب الزنجي المسلم.

3 ـــ تأثيرات ما بعد الرحلة ووفاته:

أ– تأثيراتها على العالم الإسلامي:

بعد هذه الحجة التي ذاع أمرها اهتم المرينيون في فاس ومدن المغرب التجارية اهتماما كبيرا بمالي وتبولدت الهدايا والسفارات بين عاهلي المملكتين وفتح"منسى موسى"مدارس لتحفيظ القرآن واقتنى عددا من الكتب من البقاع المقدسة ومن القاهرة والراجح أن عصره كان العصر الذي أصبحت فيه ولاتة ذات شأن

(1)– مجلة الرافد الإلكترونية، تنبكتو لؤلؤة الصحراء وماضيها المجيد، عبد العظيم محمود حنفي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، http://arrafid, ae189, P15.

(2)– جوان جوزيف، المرجع السابق، ص:75.

(3)–ف.جي.دي، المرجع السابق، ص: 57.

(4)– عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 278.

وبعدها ازدهار جنيه وتمبكتو حتى أصبحتا بعد قرن مركزين حضريين ذات صيت عالمي[1]، وسنسلط الضوء في هذه المرحلة عن أهم مظاهر التعاون والتآلف بين السلطان"منسى موسى"ونظرائه من سلاطين العالم الإسلامي وما ميزته هذه المرحلة من ود وتفاهم في ذلك الوقت وسنظهر المراسلات والوفود التي بعث بها"منسى موسى" إلى حكام فاس والقاهرة وتوطيد العلاقات في شتى المجالات خصوصا المجال السياسي.

-المراسلات مع سلطان القاهرة:

إن مجموع المظاهر النموذجية التي تتجلى في قوة السلطان"منسى موسى"وثرائه وسخائه وزهده تكشف لنا على أن إقامته بمصر كانت تستهدف التعريف بشخصه ومملكته لدى المماليك وبالتالي محاولة كسب ود حكام مصر وبالتالي إقامة علاقات سياسية معهم متكافئة أو لنقل مرضية للطرفين مما يعد كسبا سياسيا ومعنويا لمالي وسلطانها وتزكية الإسلام ببلاد السودان، وكل هذا لا يضر رحلته الحجية في شيء على اعتبار انشغال"منسى موسى"بمثل هذه القضايا الدنيوية وهو في طريقه إلى مكة بل بتفكيره هذا أعطى لرحلته الحجية أبعادها الإسلامية الحقة[2].

وسنورد المراسلة التي قام بها سلطان مصر إلى سلطان مالي والتي وضعها"العمري"في كتابه الثاني خلاف كتاب مسالك الأبصار والذي عنونه بـــ:"التعريف بالمصطلح الشريف"وسنحاول التفصيل في المراسلة وتحليلها بقدر الإمكان.

يقول"العمري"أما رسم المكاتبة إليه من سلطان مصر:"أدام الله تعالى نصر الموقر العالي السلطان الجليل الكبير العالم العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحد عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهر الإمامة، عضد أمير المؤمنين، وبعد هذا سلام وتشوق، هذه المفاوضة تبدى ولا يعرض له"[3].

---

(1)-نيلي، المرجع السابق، ص: 163.

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 265.

(3)- ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1408هـ-1988م، ص: 45.

ويضيف"دعاء وصدر يختصان به، يسر الله القيام له بفرضه، وأحسن الله له المعاملة في قرضه وكثر سواده الأعظم وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه، ومتعه بملك يحد الحديد سجف سمائه والذهب نبات أرضه". "صدرت هذه المفاوضة وصدرها به مملو، وشكرها عليه مجلو ومزايا حب في القلوب سر كل فؤاد، وسبب ما حلي به من الطرف والقلب من السواد،تنزل به سفنه المسيرة في البر وترسى، وتحل عند ملك ينقص به زائدة"[1].

لتوضيح ما ذكره ابن فضل الله في كتابه:"التعريف بالمصطلح الشريف"يغلب عليه الظن أنه في ذكر صاحب مالي يقصد"منسى موسى" أو أحد خلفه[2].

إذا كانت هذه المراسلة تخص"منسى موسى"أو أحد خلفائه فالواجب علينا في هذا الصدد أن نعرف مدى العلاقات السياسية بين سلاطين المماليك وملوك مالي خصوصا بعد حجة"منسى موسى"وما شابها من غموض وتوتر أثناء إقامته بالقاهرة، وحادثة السجود التي أثارت الكثير من الجدل، فهذه المكاتبة وإن دلت على شيء فإنها تدل بعد الصفات الحميدة لملك مالي، ثم تحية الإسلام وصولا إلى التفاوض وهذا لب الموضوع فقد بادر سلطان المماليك إلى كسب ود سلطان مالي، وإن كان"منسى موسى"معارضا لهذا التفاوض ما قبله هو أو أحد خلفائه، فكان الترحيب بهذه المفاوضة بصدر رحب مملوء حبا وشكرا، وقد أبدت قوة العلاقات السياسية بين الوطنيين والأخوة بين المسلمين التي أقرها الإسلام العظيم.

– المراسلات مع بني مرين:

مما لاشك فيه أن أصداء"منسى موسى"وما خلفه من آثار لدى أهالي مصر والحجاز قد بلغت بلاط المرينيين منذ عهد والد أبي الحسن السلطان"أبي سعيد"(710هـ-730هـ/1310م-1330م) بالموازاة مع ذلك فإن العلاقات التجارية والثقافية بين مالي والمغرب المريني كانت تسمح بتسرب الكثير من المعلومات إلى

(1)– العمري، المصدر السابق، ص:46.

(2)– محمد دوكوري، **مرجعية المصادر العربية في أخبار بلاد السودان**(تاريخ"منسى موسى"نموذجا)، **دورية كان التاريخية**،العدد الثالث والعشرون، مارس 2014م، ص: 11.

البلاطين عن أوضاع كل بلد منهما[1]، أما التوسع العظيم في التجارة زمن"منسى موسى"بصفة خاصة يعزي إلى نشاط هذا السلطان وسعيه الدائم في دعم العلاقات الخارجية وتنميتها ويعتبر المنسى أول من حطم الستار الحديدي وهو حاجز اللون والتفرقة العنصرية فيما نسميه حديثا حتى وصف هذا السلطان بأنه صديق البيض[2]وحتى ذلك الوقت كانت تجارة السودان وقفا على المسلمين المراكشيين ولكن بعد زيارة موسى للقاهرة أخذ التجار المصريون يهتمون بتجارة السودان وعلى الرغم من أن السودانيين قد احتفظوا بشكوكهم في أساليب التجارة والأمانة المالية المصرية[3] فقد اتخذ البلاط عادات السلاطين وربما كان الأمر البالغ التأثير هو إتباع أحكام إسلامية أكثر تشددا و أدخلها في بلاد السودان علماء قدموا من القاهرة[4].

يتضح لدينا من خلال هذا أن العلاقات السياسية والتجارية قبل حج"منسى موسى"كانت وقفا على الشمال الإفريقي، أما بعد رحلته فقد تهافتت قوافل التجارة من مصر وإن كان أهل مالي يرون في المصريين الجشع والطمع والاحتيال لما حدث معهم فترة إقامتهم بالقاهره فإن بلاط"منسى موسى"اتبع سياسة حكيمة من تقوية أواصر العلاقة مع المماليك تجاريا، دون التخلي عن علاقاته بالشمال الإفريقي وهذه حنكة سياسية تضاف إلى سجل هذا الإمبراطور.

نعود إلى مراسلات"منسى موسى"مع بني مرين، يقول ابن خلدون:"كان لسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر في مناغاته للملوك الأعاظم واقتفاء سننهم في الأقتال والأمصار، وإيفاد الرسل على ملوك النواحي القاصية والتخوم البعيدة، وكان ملك مالي أعظم ملوك السودان لعهده مجاور لمملكة المغرب على مائة مرحلة

(1)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 272.

(2)- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية، المرجع السابق، ص:91.

(3)-سامدمويانيكار، المرجع السابق، ص: 107.

(4)- نفسه، ص: 108.

في القفر من ثغور ممالكه القبلية، ولما تغلب على بني عبد الواد واستولى على ممالك المغرب الأوسط تحدث الناس بشأن أبي تاشفين وحصاره ومقتله"[1].

إذا أخذنا تلويحات ابن خلدون الأنفة الذكر يمكننا القول أنه فيما بين سنة733هـ و738هـ توددت بين العاهلين أكثر من سفارة وهدية وهذا الفخر والاعتزاز الذي يسود نفس أبي الحسن هو الذي جعله يكرم وفادة"منسى موسى"إليه خصوصا بعد تغلبه على بن عبد الواد في تلمسان عام:1337م[2]، حيث خاطبه سلطان مالي"منسى موسى"فأوفد عليه فريقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة فوفدوا على السلطان في التهنئة والتغلب، فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم فأتحف طرفا من متاع المغرب وبعثه إلى سلطان مالي[3].

إن"منسى موسى"كان على إطلاع تام بما يحدث في بلاد المغرب الإسلامي لهذا يتضح لنا من مراسلة أبي الحسن الأولى أنه على ثقة تامة بحسن الجوار مع المرنيين يقول صاحب الاستقصا:"عين سلطان المرينين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبو مدين ومولاه غبر[4]،وقد أرسلهم في وفد إلى"منسى موسى"يعبر فيها عن شكره وتمام ارتياحه للعلاقة بين المملكتين، وإن كانت هذه المراسلة قد أتت بعد مهلك"منسى موسى"وابنه"منسا مغا"، فقد أبلغت"منسا سليمان"عن تعازيه الحارة عن وفاة أخيه"منسى موسى"الذي ترك آثارا حسنة في شرق وغرب البلاد الإسلامية[5].

يعتبر هذا دليلا واضحا يثبت مدى حرص"منسى موسى"على المسارعة في تقوية العلاقات مع بلدان العالم الإسلامي وتجاوب الأمراء والسلاطين معه وإن كانت مراسلة أبي الحسن لم تصل إلى مالي إلا بعد ممات

(1)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص: 352.

(2)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 273.

(3)-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص: 353.

(4)- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص: 151.

(5)-أحمد شكري، المرجع السابق، ص: 274.

"كونكو موسى"[1]،إلا أنها لا تحجب الضوء عن مجهودات ملك بني مرين من تقوية العلاقات مع جيرانه المالين.

لقد توسعت الصلات بين بلدان العالم الإسلامي لتشمل كامل المغرب الإسلامي والأندلس وبما كانت تمثله غرناطة من ثقل حضاري وثقافي في يومها هذا وقد وفد إلى مالي بعض العلماء الذين فروا من الأندلس هربا من حملات الاضطهاد التي تعرض لها المسلمون هناك وجلب معهم هؤلاء إلى إفريقيا صورا كثيرة من حضارات الأندلس[2].

ب– وفاة"منسى موسى"ومنتوجه الحضاري:

لم تتحدث المصادر والمراجع عن الأسباب والعلل التي توفي بها"منسى موسى"غير أن بوفيل يقول:"أنه عندما مات"كانكان موسى"ترك وراءه إمبراطورية كانت تمثل في تاريخ الدول الإفريقية نموذجا رائعا لسعتها ورخائها وكانت تمثل أيضا نموذجا رائعا لمدى قدرة الزنوج على التنظيم السياسي"[3]

لقد بلغت البلاد في عهده عنفوان مجدها باستيلاء قواته على حاضرة"سنغاي"، جاو وتمبكتو، التي تمثل عمقا حضاريا متميزا، ووجه جيوشه صوب الجنوب مخترقا الفيافي إلى فوتاجلون:"إلا أن المنية سارعت لأخذه وهو يبني المملكة لبنة لبنة عام:738هـ/1337م،بعد حكم دام خمس وعشرين سنة[4].يقول نياني:"ترك"منسى موسى"الأول بوصفه من البناة أثرا دائما ولا تزال بصماته باقية في كل المدن السودانية بفضل تلك المباني من الطين المضغوط المقوى بالخشب وما مساجد جنى وتمبكتو إلا لما أصطلح عليه مباني الطراز السوداني[5].

---

(1)–**دعوة الحق**: مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإفريقية، تأسست سنة:1957م، **الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا السوداء–مملكة مالي**، العددان: 50 و51.1185 /item /daouat-alhaq / habou s . gove .mu :// http -

(2)– أحمد شلبي: **الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن، موسوعة التاريخ الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981، 1982، ص: 256.

(3)–دافدسون، المرجع السابق، ص: 48.

(4)– الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 63.

(5)–نياني، المرجع السابق، ص: 163.

استمر حكم"موسى الأسود"طوال خمس وعشرين سنة بلغت فيها إمبراطورية مالي قمة[1]حضارتها وقوتها إلى أن مات سنة:1337م، بدأت عوامل الضعف والتفكك تحل في أرجاء المملكة.

إن المصادر لم تسعفنا بشيء عن الظروف التي توفي فيها"منسى موسى"وتركتها غامضة شائبة وعلى الرغم من أن وفاة هذا الإمبراطور وجب الإشارة إليها ولو بالشيء القليل فإن قبره يشير إليه السعدي ولو عن غير قصد حيث يقول:"أما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى هو الذي بناه، والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والمغرب وتلك عادة السودان لا يدفنون موتاهم إلا في رحاب مساجدهم"[2].

تجدر الإشارة إلى أن هاته القبور التي تكلم عنها السعدي والتي لم يفصل هل هي مقابر للعامة أو الملوك وإن كان ملوك السودان يدفنون أمواتهم في رحاب مساجدهم فلا ريب أن قبر"الحاج منسى موسى"في إحدى رحاب مساجد مالي والله أعلم.

(1)- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص: 76.

(2)- السعدي، المصدر السابق، ص: 56.

الخاتمة

خاتمة:

حسب كمية المعلومات المتوفرة لدينا، وانطلاقا من آراء المؤرخين واستنتاجاتهم يتبادر إلى أذهاننا مجموعة من النتائج والرؤى والتي تعتبر كحوصلة عامة للموضوع وهي كالآتي:

- دخول الإسلام إلى السودان الغربي من الأحداث المهمة في تاريخ القارة الإفريقية ذلك أن الإسلام انتشر بين هؤلاء الناس بفضل الطرق التجارية والاحتكاك الحضاري بين الشمال والجنوب ما تمخض عنه ظهور الإمارات المسلمة مع مطلع القرن الرابع للهجري العاشر للميلادي.

- إن ظهور المرابطين كقوة إقليمية في السودان الغربي ثم استيلاؤهم على غانة الوثنية وفتحها عام:1076م على يد"أبو بكر بن عمر"غيرت من موازين القوى في المنطقة وبعد مهلك أمير المرابطين عادت الفوضى واستعادت غانة ملكها ولكن حكامها كانوا ضعافا مما جعل قبائل الصوصو تتوسع على حسابهم وتمكنت من إرضاخهم أم أسرة"كايتا" التي تحكم إقليم مالي ومع ازدياد قوتها دخلت في صراعات مع قبائل الصوصو إلى أن تمكن مالكها "ماري جاطة" من هزيمتهم في موقعة "كيرينا" عام: 633هـ/1235م وتمكن من إنهاء حكمهم.

- اتخذ مؤسس مالي "ماري جاطة" نياني عاصمة لملكه وعزز قوى التحالف مع القبائل المختلفة وفرض الأمن والنظام في أرجاء الإمبراطورية وقام بالعديد من الإصلاحات وتمكن من إنهاء إمبراطورية غانة من الوجود عام1240م وما يؤخذ بعين الاعتبار أن هذا

الملك اعتمد على الإسلام في تسيير دواليب حكمه.

- إن خلفاء "ماري جاطة" ساروا على نهجه حيث قام "منسى ولي" بفتوحات كبيرة، وما عهد "ساكورة" إلا مرحلة جديدة من التوسع والقضاء على التمردات وكان ملوك مالي في هذه الفترة يقومون برحلات حجية إلى البقاع المقدسة.

- تولى "منسى موسى" الحكم عام1312م حيث عمل على ترسيخ النظام والأمن في إمبراطوريته وكان الإسلام قد دخل البلاط الملكي في عهده وصبغت البلاد بالطابع الإسلامي ووصلت مالي إلى أقصى حدودها واستولت على إمارة كوكو وقضت على التمردات المتتالية للسنغانيين.

- التطورات الكبيرة في المجال السياسي من خلال التنظيمات والتشريعات وتقسيم المهام على عمالها من مستشارين وقضاة ورجال ضرائب وفقهاء حيث كان لهم الفضل في رخاء البلاد والعباد وكان"منسى موسى" له الحق في التعيين والفصل إضافة إلى أن جيشه المكون من مئة ألف جندي كانت له إقطاعات وإنعامات له دون أي قطاع آخر ولعل هذا الأمن والرخاء الذي كانت تشهده هذه الحقبة جعل ابن بطوطة يزوره في ذلك الوقت.

- كانت هذه الإمبراطورية في عهد هذا الملك تمثل نموذجا للثراء الاقتصادي الكبير من خلال انتعاش الأسواق والطرق التجارية و أصبحت مدينة تمبكتو قبلة للقوافل التجارية من جميع القاع.

- تطمر مالي الإسلامية شمل التعليم والإدارة وقد اتخذ"منسى موسى" المذهب المالكي مرجعا لدولته وشجع على شراء الكتب المالكية وقام ببناء المساجد بتمبكتو وجنى ونيامي

العاصمة وكانت لهم إشعاعات علمية وثقافية.

- إن الثراء الواسع لهذه المملكة جعل سكان القاهرة يعيشون على ذكرى رحلة حج "منسى موسى"سنوات عدة حيث أن أحد الجرائد حددت قيمة الثروة لدى "منسى موسى" بـــ:400 مليار دولار بحسابنا الحالي لهذا فأوصاف المؤرخين لهاته الرحلة بالحجة الذهبية غير مبالغ فيها لما كانت تحويه هذه المملكة من الذهب والأسواق والملح.

- لقد كان لرحلته الحجية آثار كبيرة في نفسه حيث أنه تعرف على العالم الإسلامي وكيف كان الناس يعيشون ورأى من أهل القاهرة وملوكها ما لا يرضيه لكنه أدى مناسك حجه وعاد لوطنه غير مبال بما حدث

معه أو بكمية الذهب التي ضاعت منه وقد قابل في الحرمين مجموعة من علماء المالكية أحضرهم معه إلى بلاده وكذا تعرف على "أبي إسحاق الطويجن" المعماري الغرناطي وصحبه معه حيث طور له فنون العمارة في مالي.

- بعد هذه الرحلة وصلت شهرة مالي إلى شرق العالم وغربه فتحدث الناس في تلك الفترة عن ثراءه وذهبه حتى بلغت صورته أوروبا الغربية في ذلك الوقت وتمكن "منسى موسى" من إقامة علاقات سياسية واقتصادية مع بلدان العالم الإسلامي وحظي بمراسلة ملك القاهرة وسلطان بني مرين.

- لقد مثل "منسى موسى" النموذج الرائع للملك العادل والحاكم الصارم وما عنفوان المجد الذي وصلت إليه مالي في عهده إلا خير دليل على ذلك وبوفاته عام738هـ/1337م حيث ترك بصماته في كل المدن الإسلامية والسودانية في ذلك الوقت.

لقد وجدت الكثير من المفاهيم الخاطئة عن تاريخ الإسلام وأثره في هذا الجزء من إفريقيا دينيا، اجتماعيا، ثقافيا وحضاريا وهي مفاهيم لها دوافع مختلفة وجوانب عدة أتت من قبل بعض المثقفين الغربيين وأبناء المنطقة وغيرهم من الذين تأثروا بأولئك الصنف من الناس[1] والذي كان هدفهم من خلالها طمس الحضارة الإسلامية في السودان الغربي وإيهام الناس أن الأوروبيين جاءوا لإنقاذ الإفريقيين من الجهل والتخلف الذين عايشوه قبل قدومهم، متناسين تماما العمل العظيم الذي قام به الإسلام والمسلمون في هذه المنطقة، فالمسلمون لم يستعملوا القوة القمعية والنفسية كما فعل الأوروبيون في إفريقيا تحت ذريعة الكشوف الجغرافية وإنما كان سبيلهم في ذلك الدعوة إلى الله تعالى وهي واجب كل مسلم يؤمن بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم، إن هؤلاء الدعاة الأوائل الذين قدموا إلى السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية ومصالحهم الدنيوية لم يكونوا مسؤولين أو مبصرين لهذا الغرض ولا تشرف عليهم هيئات الدعوى كما هي الحال في الإرساليات التبشيرية التي تدعمها أوروبا والاستعمار، وإنما هو إيمانهم بأن الله تعالى هو الذي أمرهم بذلك في محكم تنزيله

(1)- موسى حبيب، المرجع السابق، ص: 12.

حيث قال:"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[1]، فدعوة الناس لا تكون بإرغامهم على الإسلام أو إكراههم عليه، وإنما تبيين الطريق لهم وأن الله هو المعبود وحده لا شريك له فإن آمن الناس فهو كسب للإسلام، وإن أبوا تبرؤوا منهم أمام الله تعالى فالواجب الدعوة وليس الإكراه في الدين لقوله تعالى:" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"[2]، ولقد نجح الإسلام في أن يدخل قلوب الشعوب السودانية وما وصول الحركة المرابطية عام:1076م وفتح عاصمة غانة القوية في ذلك الوقت إلا دليل واضح على أن الإسلام وجد من ينصره ويؤيده ويشد أزره، أما مملكة مالي الإسلامية فقد أسسها ملكها الأول"سندياتا"والذي يعرف عندهم بـــ"ماري جاطة"سنة:1240م على لبنة إسلامية وإن تفاوتت نسبة المسلمين من منطقة إلى أخرى وسار خلفاؤه على نهجه في فتوحاتهم وتوسعاتهم إلى أن نصل إلى سبط من أسباطه وهو"منسى موسى"والذي تولى زمام الأمور في مالي عام:1312م، الذي لم يدع إدارة ولا وظيفة ولا عمل سياسي إلا وصبغه بالصبغة الإسلامية، إن هذا الرجل، الورع، الزاهد، التقي والذي وصفه لنا بعض المؤرخين الثقات وإن كان بعضهم من المحدثين الأعلام أمثال ابن حجر العسقلاني والذي وصفه أثناء إقامته بالقاهرة بأنه كان ذو علم، مالكي المذهب. لقد عمل هذا الملك بجهد متفان لخدمة أهل مملكته والوصول بهم إلى بر النجاة بإتباع تعاليم وشرائع الإسلام وتطبيقها في حياتهم اليومية، وما مساجد تنبكتو، جنى، نيانى إلا دليل واضح على حرصه الشديد ورأيه السديد.

لقد تمتعت إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد"منسى موسى"بشتى مظاهر الحضارة وتعتبر رحلته إلى الحج عام:1324م حجة بالغة في إثبات مدى ازدهار مملكته وتطورها ذلك أنه ترك الدنيا وما جاء به من ذهب في القاهرة وأسواقها وندى ملوكها وعاد إلى مملكته بعد اقتراضه المال من أعيان التجار، ولا يبدو لنا هذا الفعل غريبا إذا رأينا أن هذا الملك و وصف العلامة ابن خلدون له بقوله:"كان رجلا صالحا، ملكا عظيما، له

(1)-سورة النحل،الآية: 125.

(2)-سورة البقرة، الآية: 256.

في العدل أخبار تؤثر عنه"[1]نعم لقد كان يضرب به المثل في العدل بين قومه كما كان موسى الأسود صارما في معاملاته مع رعيته ولا يضيع عنده حق لأحد أيا كان.

إن هذا التطور والازدهار الكبيرين لم يكن أن يكون إلا بتدبير ملك راشد وسلطان مهتم بشؤون رعيته يقول بوفيل عندما هلك وانتهى حكمه:"أنه عندما مات"كانكان موسى" ترك وراءه إمبراطورية كانت تمثل في تاريخ الدول الإفريقية نموذجا رائعا لسعتها ورخائها"[2].

(1)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 267.

(2)-دافدسون: المرجع السابق، ص: 48.

الملاحق

- **الملحق رقم 01:** وثيقة توضح ترتيب سلالات مالي حسب ابن خلدون.
- **الملحق رقم 02:** خريطة توضح إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد"منسى موسى".
- **الملحق رقم 03:** خريطة توضح الطرق التجارية الكبرى في السودان الغربي من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر ميلادي.
- **الملحق رقم 04:** خريطة إمبراطورية مالي بعد عهد"منسى موسى".
- **الملحق رقم 05:** خريطة أهم مدن السودان الغربي.
- **الملحق رقم 06:** خريطة السودان الغربي قبل مجيء الإسلام.
- **الملحق رقم 07:** خريطة الطرق التجارية الرئيسية خلال القرن الرابع عشر ميلادي.

ترتيب سلالات مانسا مالي حسب ابن خلدون

ملاحظة : الأسماء بين قوسين مستقاة من الروايات الشفوية

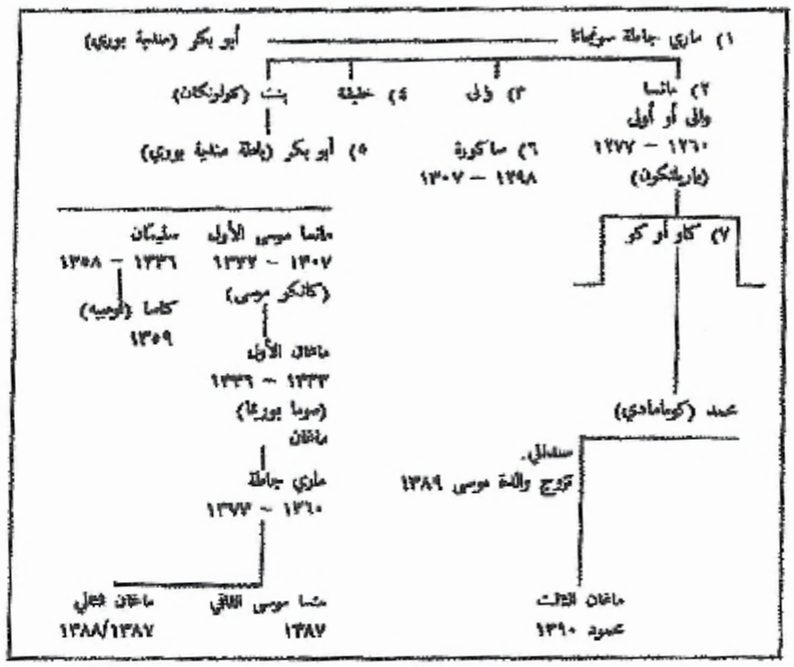

هكذا حدّد موريس ديلافوس مدد حكم سونجاتا مانسا موسى[٦٢] .

سونجاته	١٢٣٠ – ١٢٥٥
مانسا ولين	١٢٥٥ – ١٢٧٠
والي	١٢٧٠ – ١٢٧٤
خليفة	١٢٧٤ – ١٢٧٥
أبو بكر	١٢٧٣ – ١٢٨٥
ساكورة	١٢٨٥ – ١٣٠٠
كاو	١٣٠٠ – ١٣٠٥
محمد	١٣٠٥ – ١٣١٠
مانسا موسى	١٣١٢ – ١٣٣٧

(٦٢) بما أن ابن خلدون جعل مدة حكم مانسا موسى ٢٥ سنة فقد وجب التصحيح وتحديد مدة حكمه فيما بين ١٣٠٧ و١٣٣٢. أنظر ج. كيك، ١٩٧٥، ص ٣٤٣ – ٣٤٦.

– ترتيب سلالات مالي حسب ابن خلدون[1]

(1)-نياني، المرجع السابق، ص:159.

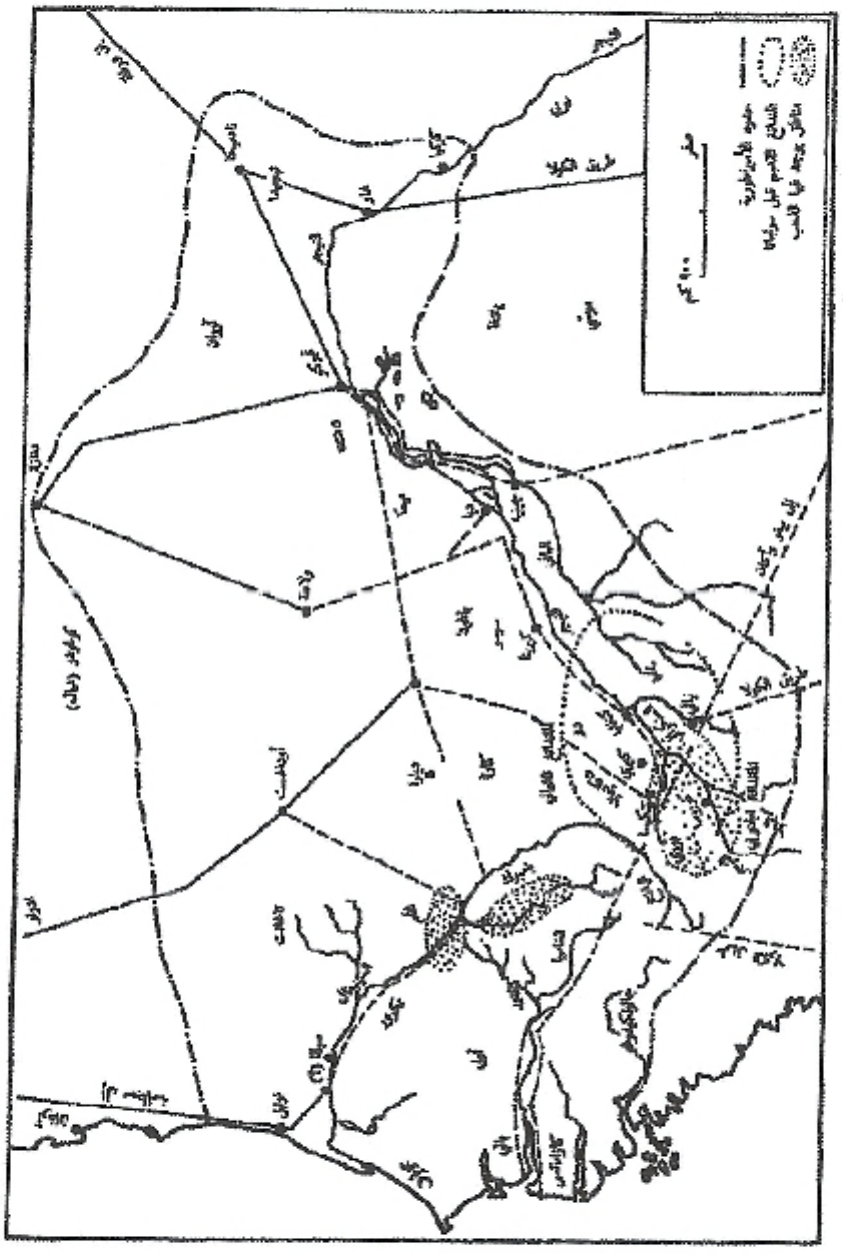

• امبراطورية مالي ١٣٢٥ (ج. ت. نياني)

– خريطة توضح إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد"منسى موسى"[1]

[1]– نياني، المرجع السابق، ص:162.

(خريطة رقم: ١)

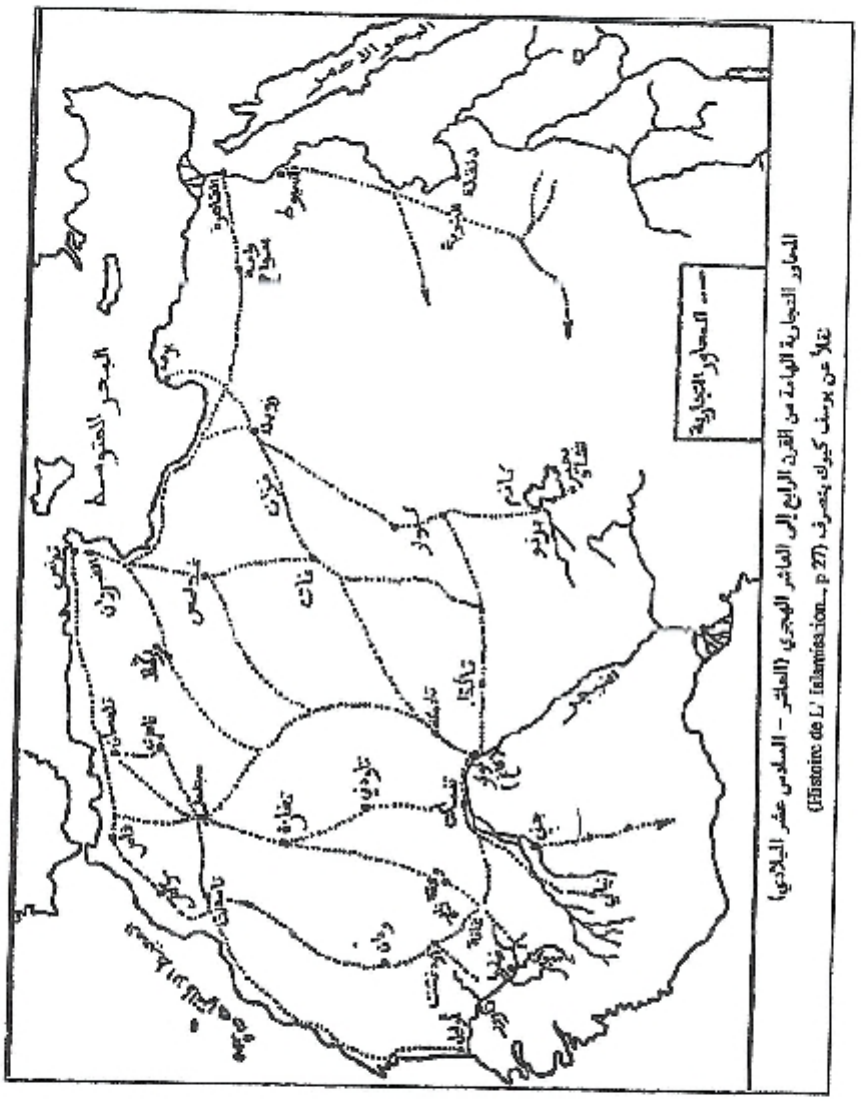

61

خريطة توضح الطرق التجارية الكبرى في السودان الغربي من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر ميلادي[1]

[1] أحمد شكري، المرجع السابق، ص:160

(خريطة رقم: ٥)

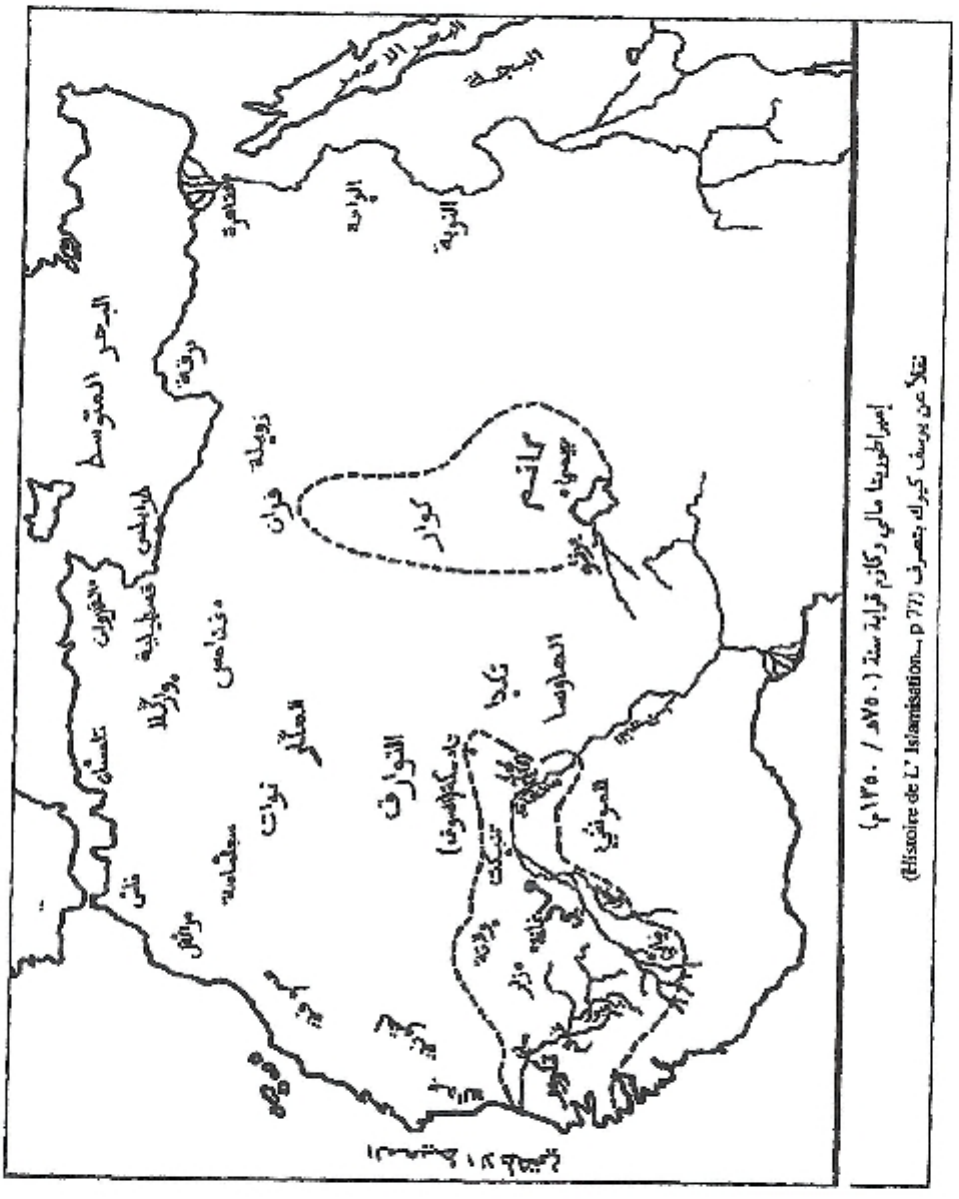

إمبراطورية مالي وكانم قرابة سنة (٧٥٠هـ / ١٣٥٠م)
نقلا عن يوسف كيرك بتصرف (Histoire de L' Islamisation... p 77)

186

- خريطة إمبراطورية مالي بعد عهد"منسى موسى"[1]

[1]- نبالي، المرجع السابق، ص:167.

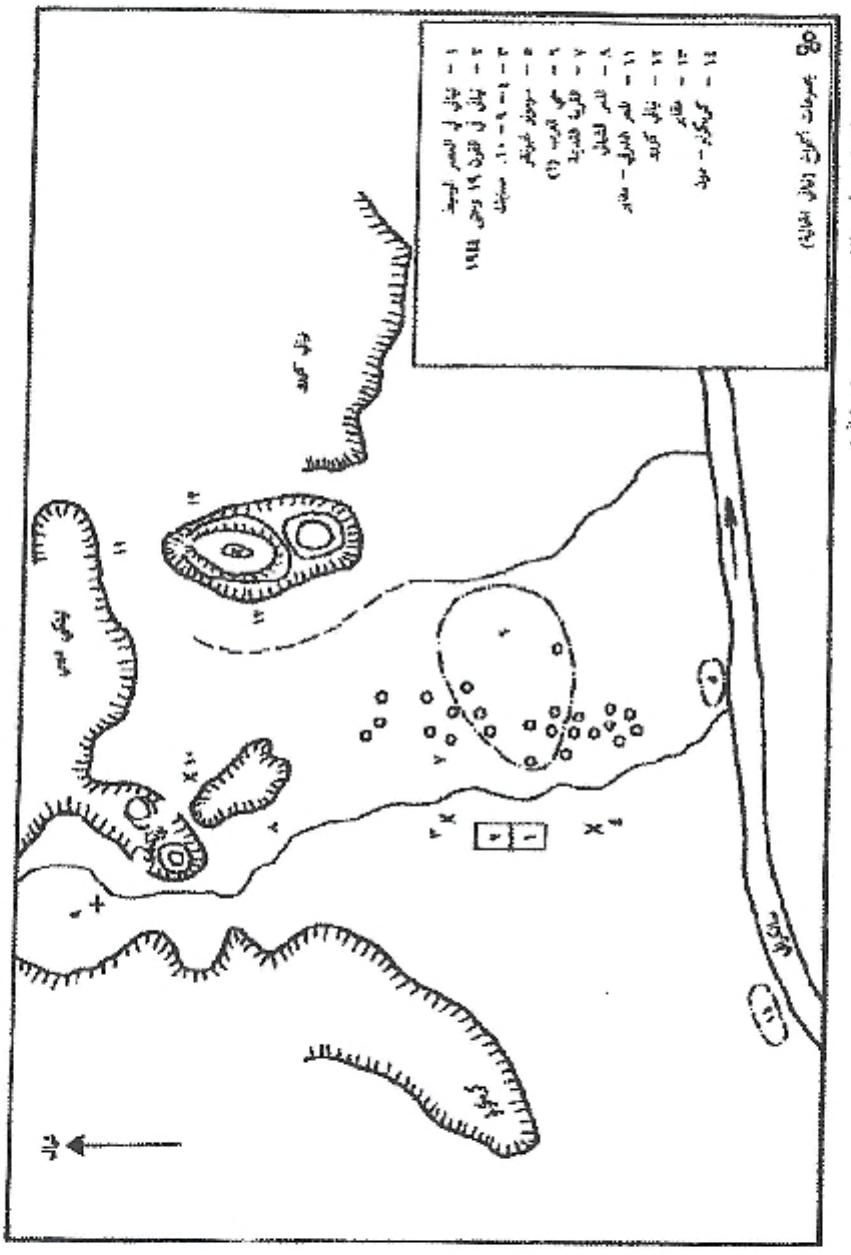

• نيانى : خريطة المواقع فى منطقة سنجوبو (ج. ش. نيانى)

– خريطة أهم مدن السودان الغربي[1]

[1] نيانى، المرجع السابق، ص:152.

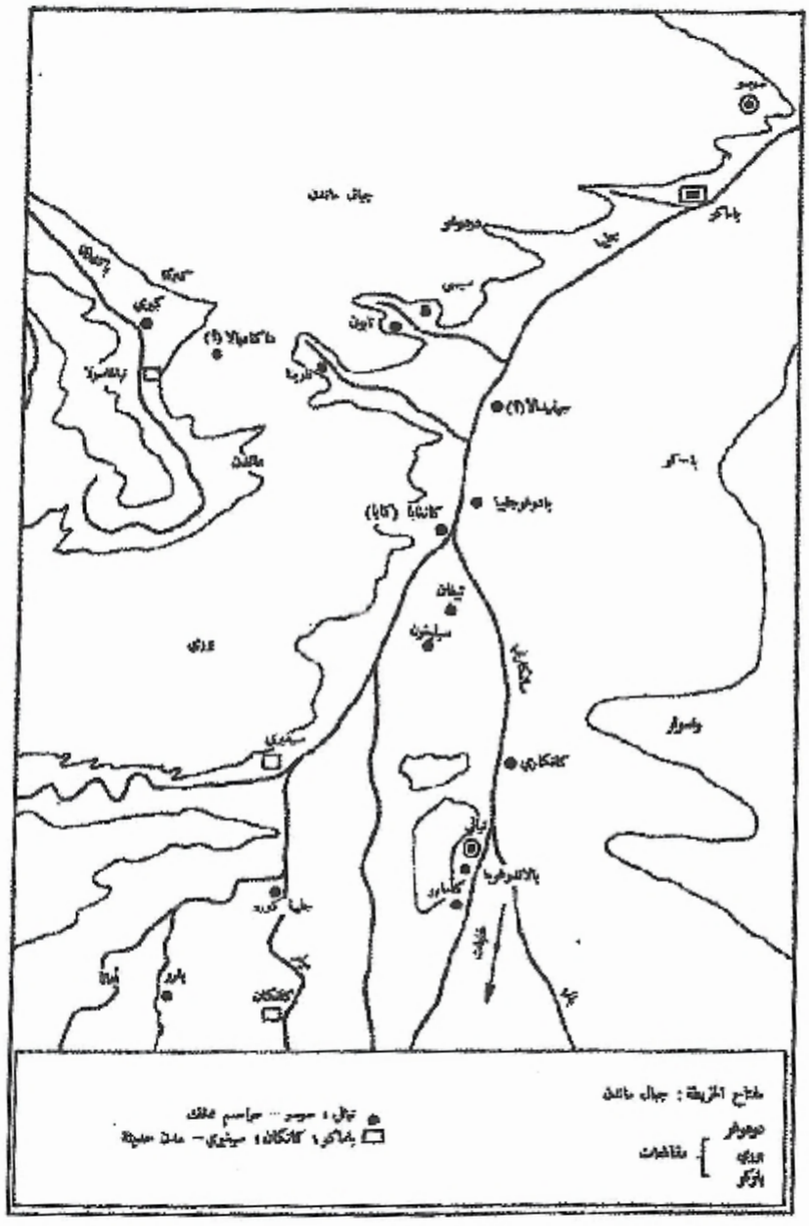

• مانديغ القديمة

– خريطة السودان الغربي قبل مجيء الإسلام.[1]

[1] نيانغ، المرجع السابق، ص:154.

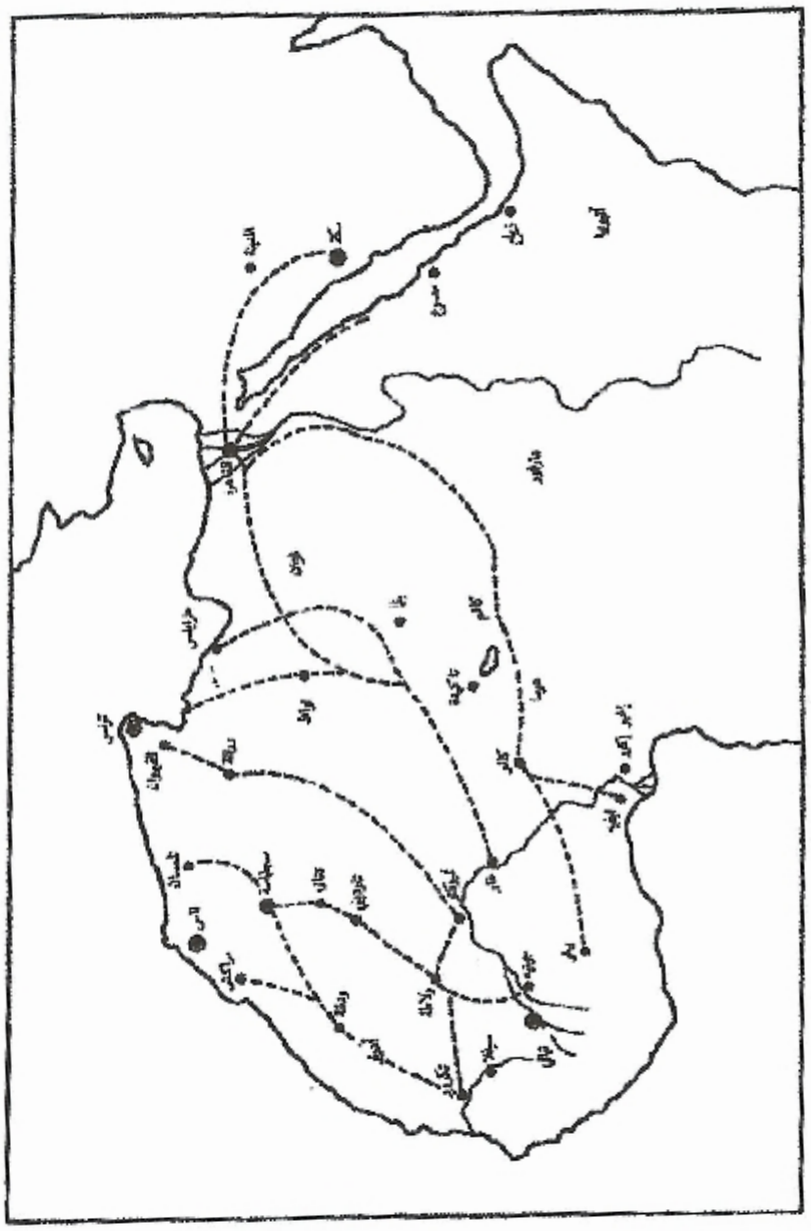

– خريطة الطرق التجارية الرئيسية خلال القرن الرابع عشر ميلادي[1]

[1] احمد شكري، المرجع السابق، ص: 180

البيليوغرافيا

قائمة المصادر و المراجع:

أ)- المصادر:

1-ابن إياس، محمد بن أحمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، القاهرة، 2ج، بدون تاريخ ،ج1.

2- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، المطبعة الخيرية، 1322ه.

3-ابن خلدون عبد الرحمان، **تاريخ ابن خلدون:"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، 7ج، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421ه/2000م، ج7،6،5.

4- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، 6ج، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**،دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، ج4.

5- ا بن كثير الحافظ عماد الدين ابن عمر، **البداية والنهاية**، 21ج، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، 1419ه-1998م، ج18.

6-البرتلي اللواتي أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**: تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1401ه/1981م.

7- الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، 5ج، دار صادر، بيروت، 1996، ج4.

8-الذهبي الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**،4ج، تحقيق:محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405ه-1985م، ج4.

9- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، **أعيان العصر وأعوان النصر**، 6ج، تح: نبيل أبو عمشة وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت: ط1، 1418ه-1998م، ج5.

10-القلقشندي أبي العباس أحمد،**صبح الأعشى**،10ج،دار الكتب المصرية،القاهرة، 1333هـ/1915م،ج5

11- السعدي عبد الرحمان بن عامر، **تاريخ السودان**، المدرسة الباريسية للألسنة الشرقية، باريس، 1981.

12- الشوكاني محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، 2ج، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ، ج2.

13- العمري شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،27ج، تح:كامل سليمان الجبوري،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج4.

14- العمري شهاب الدين ابن فضل الله، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

15- السلاوي أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،15ج، تحقيق: أحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1955م، ج3و5.

16- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ط1، 1420هـ/2000م.

17- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 7ج، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، ج3.

18- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،33ج، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ،1418هـ-1997م ج33.

19- اليافعي عبد الله بن اسعد ، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**،4ج،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1 ،1417هـ-1997م، ج4.

ب)-المراجع بالعربية:

- إبراهيم عبد الله بن عبد الرزاق، الجمل شوقي، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**، مكتبة البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1998م.

- الفيتوري عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، منشورات جامعة تونس، بنغازي،ط1، 1998م.

- الداني الهادي المبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من القرن 15 إلى بداية القرن 18م**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998م.

- باري عثمان برايما، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م.

- باري محمد ماضل علي، كريرية سعيد إبراهيم، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ،1428هـ-2007م.

- بانيكار مادهو، **الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا**، ترجمة: فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1998م.

- جوزيف جوان، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي**، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.

- حسن نبيلة محمد، **في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، دون تاريخ.

- رزق محمد محي الدين، **إفريقيا وحوض النيل**، مطبعة عطايا باب الخلق، مصر، ط2، 1934م.

- دافيدسون باسيل ، **إفريقيا القديمة تكشف من جديد**، تر:نبيل بدر، سعد زغلول، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 2001م.

- فيج-جي-دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، ترجمة: السيد يوسف نصر، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1982م

- فيلجة أحمد نجم الدين،**إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، دون تاريخ.

- قاسم جمال زكريا، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، 1416هـ-1996م.

- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، 15ج، **التاريخ المعاصر غربي إفريقية**، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط2، 1417هـ-1997م.

- شكري أحمد، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي**، المجمع الثقافي، أبو ظبي،ط1 ،1420 هـ-1999م.

- طاهر أحمد، **إفريقيا فصول الماضي والحاضر**، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

- عثمان شوقي عبد القوي، **التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م.

- مؤنس حسين، **الإسلام الفاتح**، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، دون تاريخ.

- يحي جلال، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

- يوليم دنيس، **الحضارات الإفريقية**، ترجمة: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م.

ج)-المراجع بالأجنبية:

--Montcilcharle, "Les Empires de Mali" ,1979.

-Ivan SertimaIvan ,They came before Columbus , , Rondon House,New York , 1976.

Lymadina "L'Empire de Mali, à-t-ilsurveau jusqu'à la fin du XV le siècle" B.IFAN, N°02, 1976.

ج)-المجلات والمقالات الإلكترونية:

- حبيب موسى، **انتشار الإسلام في مملكة مالي**، **مجلة مركز دراسات الكوفة**،كلية التربية، جامعة الكوفة،العدد السادس عشر، 2010م.

- خالدي مسعود، **الصلات الاقتصادية الدبلوماسية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي وآثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث الهجريين**، **دورية كان التاريخية**، العدد العشرون، يونيو، 2013م.

- دوكوري محمد ، **مرجعية المصادر العربية في أخبار بلاد السودان(تاريخ"منسى موسى"نموذجا)**، **دورية كان التاريخية**، العدد الثالث والعشرون، مارس، 2014م.

- قاسم عبده، **مسلمو غرب إفريقيا على طريق الحج عبر مصر في زمن السيادة الإسلامية**، **مجلة عين للدراسات والبحوث الإسلامية و الاجتماعية**،مارس، 2015م.

- محمود حنفي،**تنبكتو لؤلؤة الصحراء،مالي وماضيها المجيد**،**مجلة الرافد الإلكترونية** دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة،العدد:.http://arrafid.189ae

-جمال الدين طالب، **أغنى رجل في العالم**، **جريدة الشرق الأوسط**، العدد:12379، الجمعة 03 ذو الحجة 1433هـ/ 19 أكتوبر 2012م.

- رفعت سيد أحمد، **من تمبكتو إلى مكة**، **منتدى القرآن الكريم**، حقوق الطبع والنشر محفوظة، 2004-2015. http ://wwwmontada al quran.com -- **الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا السوداء-مملكة مالي**، **دعوة الحق**، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإفريقية، تأسست سنة:1957م، العددان: 50 و51.

- http ://.habou s . gove .mu / daouat-alhaq /item /1185

و)-الموسوعات:

-نياني، مالي والتوسع الثاني للمانديغ، **تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان،1988 م.

- شلبي أحمد،**موسوعة التاريخ الإسلامي**، 6ج، **الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن**،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981، 1982، ج6.

الفهرس

فهرس المحتوى العام:

-إهداء.....

- شكر وعرفان.....

- مقدمة.....05-12

- تمهيد.....14-18

الفصل الأول:الإسلام ودوره في تأسيس مملكة مالي:

1-البوادر الأولى لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا (جنوب الصحراء).....19 -27

أ- الدعوة.....20-21

ب- التجارة.....21-24

ج- ظهور الإمارات الإسلامية في قلب السودان.....24 -27

2- المرابطون وفتوحاتهم.....28-32

أ- البذرة الأولى للدولة المرابطية.....28-29

ب- دخول المرابطين غرب السودان وفتح غانة.....29-30

ج- نهاية الحكم المرابطي في السودان ونتائج ذلك.....30-32

3-"سوندياتا كايتا" وتأسيس إمبراطورية "مالي".....33-39

أ- أصل أسرة "كايتا".....33-34

ب- مذبحة الإخوة الأحد عشر وحكم الصوصو.....35

ج- سوندياتا واسترداد العرش.....35-39

الفصل الثاني:إمبراطورية مالي الإسلامية في عهد:"منسى موسى":

1- ملوك مالي الذين سبقوا "منسى موسى".....44-41

أ- منسا ولي.....42-41

ب- خلفاء منسى علي.....42

ج- ساكورة واستيلاؤه على الحكم.....44-43

2- التعريف بالسلطان "منسى موسى".....50-45

أ- منسى موسى"نسبه وصفاته".....48-46

ب- توليه الحكم.....50-48

3- حدود مملكته وأقاليمها.....55-50

أ- حدود المملكة.....51-50

ب- فتح غاو(إمارة كوكو).....52-51

ج- أقاليم ملكه.....55-53

4- مجالات تطور إمبراطورية مالي في عهد" منسى موسى".....65-55

أ- تطور مملكة مالي سياسيا وعسكريا.....57-55

ب- تطور المملكة اقتصاديا.....61-58

ج- إداريا.....61

د- اجتماعيا وثقافيا.....65-62

الفصل الثالث:رحلة "المنسى موسى" إلى الحج وتأثيراتها على العالم الإسلامي

1- انطلاق رحلته ووصوله إلى مصر.....76-67

أ- انطلاق الرحلة.....71-68

ب- وصول الموكب السلطاني إلى مصر.....76-71

- لقاؤه السلطان الناصر"محمد بن قلاوون".....74-72

- سقوط سعر الذهب بمصر.....76-74

2- أداء فريضة الحج وعودته منها.....83-76

أ- أداء فريضة حجه.....78-76

ب- النكبة التي تعرض لها وعودته إلى القاهرة.....80-78

ج- عودة سلطان مالي إلى ديارة.....83-81

3- تأثيرات ما بعد الرحلة ووفاته.....89-83

أ- تأثيراتها على العالم الإسلامي.....88-83

- المراسلات مع سلطان القاهرة.....85-84

- المراسلات مع بني مرين.....88-85

ب-وفاة"منسى موسى" و منتوجه الحضاري.....89-88

-خاتمة.....95-91

-الملاحق.....103-97

- قائمة المصادر والمراجع.....110-105

- الفهرس.....114-112